قيمة الرحمة

في تعامل الرسول ﷺ مع المرأة

وتطبيقاتها في سيرته

د. مها جريس محمد الجريس*

(*) أستاذ مساعد بقسم الثقافة الإسلامية –كلية الشريعة – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – المملكة العربية السعودية.

ملخص البحث

تشغل حقوق المرأة مساحة واسعةً من جدلٍ عالمي، وفي الوقت ذاته تتزايد معدلات العنف ضدها في كثير من البلاد، ومع هذا وذاك، يخطئ البعض في فهم بعض المعاني الشرعية كالقوامة، وقد يسيء استخدام حق الولاية ونحوها، ومن هنا يأتي هذا البحث لتأكيد قيمة الرحمة في التعامل مع المرأة في الإسلام، وذلك بتجلية مظاهر هذه القيمة في سيرته ﷺ الذي هو قدوة للمؤمنين، والذي أوصى باحتذاء سيرته الأسرية خاصة بقوله: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[1] ومن خلال هذا الاستقراء والتأصيل للرحمة التي كانت منهجاً للنبي ﷺ في التعامل مع المرأة، يتضح الفرق بين الحقوق القانونية، والمعاني الإنسانية التي لا يمكن زرعها بمجرد سن القوانين، والتي لا ينال كثيرٌ منها إلا بحكم قضائي، بينما يجعل الإسلام الرحمة منهج حياة، وأدب عشرة، ومسؤولية أخلاقية واجتماعية وشرعية. وخلق الرحمة من أنبل الأخلاق وأعظمها أثراً على صاحبها وعلى الناس في الدنيا والآخرة، والرحمة هي رِقَّة في النفس، تبعث على سَوق الخير للغير، وقد تمثلت في تعامله ﷺ مع المرأة في حياته الأسرية، وفي سيرته العامة، وتكاثرت أيضاً في وصاياه لأصحابه، وكانت تطبيقاتها في السنة وافرة متكاثرة، وقد تقسمت في هذا البحث إلى قسمين: تطبيقات الرحمة في سيرته ﷺ بعموم النساء، وتطبيقاتها في محيط الأسرة. وتلخصت في القسم الأول بجانب التطبيقات كمواقف، وجانب الوصايا. أما في محيط الأسرة فتقسمت لمباحث موزعة للتطبيقات الأسرية بين الأم والبنات والزوجة والأخوات. وقد أوردت من النصوص في سنته ﷺ ما يؤيد هذه التطبيقات، ويوضح جوانب الرحمة فيها؛ ليظهر للمتأمل أن الرحمة بالمرأة كانت خلقه الأصيل ﷺ الذي لا ينفك عنه، ولا يحيد، وهو الخلق العظيم الذي يكاد يكون مفقوداً في التعامل مع المرأة في هذا الزمن الذي غلب فيه الحديث عن الحقوق المادية، وتُركت المرأة لتنتزعها انتزاعاً بقوة القانون، حتى انتهت فيه حياة كثير من النساء إلى العنف بألوانه، وعلى أحسن الأحوال إلى المشاحنة والتضييق، وسط غياب أو تهميش للقيم الإسلامية.

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ برقم: ٣٨٩٥، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ١١٧٤.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. الحاجة إلى نشر القيم الأخلاقية الإسلامية في التعامل مع المرأة في ظل ارتفاع نسب الطلاق وقضايا العنف ضد المرأة.

٢. المساهمة في إبراز مظاهر الرحمة بالمرأة وتطبيقاتها في الإسلام.

أهداف الموضوع:

١. تجلية قيمة الرحمة في تعامل الرسول ﷺ مع المرأة في جميع أحوالها.

٢. إبراز الأمثلة التطبيقية للرحمة في تعامله ﷺ مع المرأة في محيط الأسرة.

٣. تلمس المعاني التربوية في عموم أخلاقه ﷺ مع المرأة.

الدراسات السابقة:

لم أجد فيما اطلعت عليه من كتب ودراسات من أفرد الحديث عن قيمة الرحمة بالنساء خاصة، وتطبيقاتها في حياته ﷺ وفي هدي سنته، ولكن وجدت دراسات عن الرحمة في حياته ﷺ شملت جميع مظاهر الرحمة في جوانب شخصيته وفي أعماله وأقواله وأحواله، وسوف أذكر أبرز هذه الدراسات :

١. الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للدكتور راغب الحنفي راغب السرجاني، وهو بحث عام في رحمته ﷺ في جميع أحواله في السلم والحرب والرجال والنساء، وكان نصيب النساء في الكتاب سبع صفحات مجملة.

٢. نبي الرحمة، للأستاذ محمد مسعد ياقوت، وهو عام في رحمته ﷺ في جميع أحواله، ونصيب ما يخص قيمة الرحمة بالنساء منه خمس صفحات فقط.

٣. معالم رحمة النبي ﷺ في علاقته بأسرته، للباحث: عراقي محمود حامد، وهو بحث منشور في موقع الألوكة، وقد شمل الحديث عن رحمته ﷺ بالأهل جميعاً ولم يقتصر على المرأة، بل شمل الأقارب، والأصهار، والخدم والموالي، وجاء الحديث فيه عن رحمة الزوجات مع الذرية.

ما تتميز به هذه الدراسة عن الدراسات السابقة:

١. استقصاء موضوع قيمة الرحمة بالنساء تحديداً، وتأصيل تطبيقاتها وارتباطها بالحقوق كلها، من مواقف الرسول ﷺ.

٢. رصد تطبيقات الرحمة التي وردت كوصايا في نصوص السنة.

٣. إبراز قيمة الرحمة بالمرأة فيما يخص عموم النساء وفيما يخص العلاقات الأسرية مع المرأة بكل أدوارها.

خطة البحث: انتظمت خطة هذا البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة كالتالي:

المقدمة، وفيها خطة البحث وأهميته وأهدافه والدراسات السابقة.

خطة البحث، وقد انتظمت في تمهيد، ومبحثين وخاتمة، ثم قائمة للمراجع والمصادر، كما يلي:

المبحث الأول: قيمة الرحمة في تعامل الرسول ﷺ مع المرأة عامة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تطبيقات الرحمة بالمرأة التي رويت في مواقف السيرة الكريمة.

المطلب الثاني: تطبيقات الرحمة بالمرأة التي وردت في السنة كوصايا.

المبحث الثاني: تطبيقات قيمة الرحمة في تعامله ﷺ مع المرأة في محيط الأسرة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تطبيقات الرحمة في التعامل مع الأم.

المطلب الثاني: تطبيقات الرحمة في التعامل مع الزوجة.

المطلب الثالث: تطبيقات الرحمة في التعامل مع البنات.

المطلب الرابع: تطبيقات الرحمة في التعامل مع الأخوات.

الخاتمة والمراجع.

التمهيد

معنى الرحمة في اللغة والاصطلاح والآيات الواردة في وصفه ﷺ بالرحمة

الرحمة من صور كمال الفطرة وجمال الخُلق، وهي خلقٌ يرعى الحقوق كلها، أُوتيها السعداء، وحُرمها الأشقياء، وهي مما أودعه الله في جميع المخلوقات الحية[١]، عن أبي هريرة[٢] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة في الأرض، فبها يتراحم الخلق، حتى إن الفرس لترفع حافرها، والناقة لترفع خفها مخافة أن تصيب ولدها، وأمسك تسعة وتسعين رحمة عنده ليوم القيامة**»[٣].

معنى الرحمة في اللغة:

هي الرقة والعطف والرأفة[٤]. وقد تطلق على ما تقع به الرحمة؛ كإطلاق الرحمة على الرزق أو الغيث[٥]. والرّحِم علاقة القرابة من رحم الأنثى؛ لأن منها يكون ما يُرحم ويُرَقّ له من ولد[٦].

معنى الرحمة اصطلاحاً:

«الرَّحْمَة رقَّة تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُوم، وقد تستعمل تارةً في الرِّقَّة المجرَّدة، وتارة في الإحسان المجرَّد عن الرِّقَّة[٧]»، وقيل: «هي رِقَّة في النفس، تبعث على سَوق الخير لمن تتعدى إليه»[٨]، وقيل: هي «رِقَّة في القلب، يلامسها الألم حينما تدرك الحواس

---

(١) الرحمة منها ما هو فطري ومنها ما هو مكتسبٌ كمطلب شرعي وإيماني، يؤجر عليه العبد امتثالاً لأمر الله وطمعاً في رحمته، وهذا مما يميز الرحمة من المسلم عن الرحمة من سائر المخلوقات.

(٢) عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني، سيد الحفاظ، أسلم عام ٧ هـ، وتوفي عام ٥٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٥٧٨).

(٣) رواه البخاري برقم(٥٦٥٤) كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة في مائة جزء، وفي الرقاق، باب الرجاء مع الخوف، ومسلم برقم(٢٧٥٢) في التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه.

(٤) المقاييس لابن فارس ٢/ ٤٩٨.

(٥) لسان العرب لابن منظور ١٢/ ٢٣٠.

(٦) المقاييس لابن فارس ٢/ ٤٩٨.

(٧) مفردات القرآن للراغب(١/ ٣٤٧)

(٨) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(٢١/ ٢٦)

أو تدرك بالحواس، أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السُّرور حينما تدرك الحواس أو تدرك بالحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر»[1]. ويظهر مما سبق من التعريفات أن الرحمة قد تُعرّف بأصلها مما هو في طبيعة البشر السوية من الرقة واللين والألم، وبأوصافها من فعل الخير والإحسان، وبآثارها من التراحم ودفع الظلم ونحوه وكلها تصدق على معنى الرحمة في الإسلام.

الآيات الواردة في وصفه ﷺ بالرحمة:

ورد في كتاب الله تعالى وصف النبي ﷺبالرحمة في أربعة مواضع، منها:

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾.(آل عمران:١٥٩).

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.(التوبة ١٢٨).

وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح ٢٩)، فهذه الآيات الكريمات الثلاث دلت على وصفه من عند ربه سبحانه بالرحمة، وهي وإن كانت في سياق الحديث عن رحمته ﷺ بالمؤمنين إلا أنها تشملهم وغيرهم.

وأما الموطن الرابع فقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(الأنبياء ١٠٧). يقول الطاهر بن عاشور[2] –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: «فجاءت هذه الآية مشتملة على وصف جامع لبعثة محمد ﷺ ومزيتها على سائر الشرائع مزية تناسب عمومها ودوامها وذلك كونها رحمة للعالمين،... واعلم أن انتصاب(رحمة) على أنه حال من ضمير المخاطب يجعله وصفاً من أوصافه، فإذا انضم إلى ذلك انحصار الموصوف في هذه الصفة صار من قصر الموصوف على الصفة؛ ففيه إيماءٌ لطيفٌ إلى أن الرسول

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حبنكة الميداني(٣/٢).

(٢) العلامة المفسر محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر بن عاشور، ولد في تونس سنة ١٢٩٦هـ، من أسرة علمية عريقة. برز في عدد من العلوم. للاستزادة: انظر: محمد الطاهر بن عاشور، حياته و آثاره د. بلقاسم الغالي، دار ابن حزم، ١٩٩٦م.

ﷺ اتحد بالرحمة وانحصر فيها... والرحمة صفة متمكنة من إرساله وتفصيل ذلك يظهر في مظهرين: الأول: تخلق نفسه الزكية بخلق الرحمة، والثاني: إحاطة الرحمة بتصاريف[1] شريعته»[2].

المبحث الأول

قيمة الرحمة في تعامل الرسول ﷺ مع المرأة عامة

المطلب الأول

تطبيقات الرحمة بالمرأة التي رويت في مواقف السيرة الكريمة

يقرر دين الإسلام كرامة المرأة وينهى عن تهميشها أو امتهانها والإساءة إليها، ولقد بُعث محمد ﷺ وكثيرٌ من الأمم تزدري المرأة وتحقِّر من شأنها، ليس العرب وحدهم، بل حتى الفرس والهنود والنصارى واليهود[3]. وقد كان الرجل الجاهلي يرى المرأة شيئاً يمكن توارثه كالمتاع والمال، ولم يكن لها حقٌّ في اختيار الزوج، حتى جاء الإسلام فأكرمها في جميع أحوالها، وقد راعى فطرتها فكلفها من الواجبات ما يلائم تكوينها ويسعدها بدورها الفطري الطبيعي، كما أنه ساوى بينها وبين الرجل في الثواب والعقاب ولم ينسب إليها خطيئةً ولا ذنباً، فليست هي من أغوى آدم وأخرجه من الجنة، كما تقرره بعض الأساطير النصرانية[4]. وليست رجساً يتنزه عنه في كل صلاة كما هو الحال عند اليهود[5].

ومن هنا كانت نظرة الإسلام للمرأة نظرةً أخلاقية قيمية، ونبي الرحمة ﷺ له من ذلك أجمل المعاني وأسماها؛ فلقد كانت المرأة حاضرةً في حياته ﷺ بكل تجلياتها، وكانت سائر الحقوق والأعمال تصدر منه ﷺ مغلفةً بالرحمة، مسبوقة بها، وملحوقة بها، ومصاحبة لها، فالحقوق إذا لم تقترن بالرحمة جاءت منقوصة مشوهة، مسلوبة

---

(١) أي وجوه الأحكام وأحوالها، وتصاريف الأمور: تواليها وتقلباتها. انظر: المعجم الوسيط، ص: ٥٦٨.

(٢) التحرير والتنوير،(١٨/ ١٦٦)

(٣) انظر: المرأة على مرّ العصور، محمد فكري الدراوي، ص٢٣ وما بعدها.

(٤) المصدر السابق، ص ٥٤.

(٥) المصدر السابق ص١٢٢.

الجمال والكمال، يلحقها المنّ والأذى، والشح والنقصان.

ومن تطبيقات قيمة الرحمة في تعامله ﷺ مع عموم النساء ما يلي:

أولاً: رحمة النبي ﷺ بالمرأة في ضعفها الفطري والجسدي:

كان ﷺ يرحم في المرأة ضعفها الجسدي، ويكره أن يراها تحتمل المشقة، أو تكابد الصعاب، وقد رأى ﷺ أسماء[١] بنت أبي بكر[٢] -رضي الله عنهما- وهي تحمل النوى على رأسها مسافةً بعيدةً فرَقَّ لها قلبه وتحركت رحمته، فإذا به ﷺ يقف لها في الطريق وينيخ لها جمله؛ ليحملها عليه، لكنها تمتنع حياءً ووفاءً لزوجها الذي كان يغار عليها، فيتركها تفعل ما يريحها رغم رحمته بها. عن أسماء قالت: تزوَّجني الزبير[٣] وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته وأسوسه وأدق النوى لناضحه[٤] وأعلفه وأستقي الماء وأغرز غربه وأعجن ولم أكن أحسن الخبز، فكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير على رأسي ثلثي فرسخ فجئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيني النبي ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعاني ثم قال: «**إخ إخ**»[٥] ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته وكان من أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى، فجئت إلى الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفرٌ من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت، وعرفت غيرتك فقال: والله لحملك النوى كان أشد من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك

---

(١) تكنى أم عبد الله، وهي أكبر سناً من عائشة ببضع عشرة سنة، اتصفت بالصبر وكثرة الصلاة في الليل والصيام، وأسلمت بمكة، وقد تعرضت لما تعرض له بقية المسلمين من أذى واضطهاد المشركين. انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٢٩٣).

(٢) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وهي ابنة عم أبي قحافة. أسلم ثم أسلمت أمه بعده، الخليفة الصديق، صاحب رسول الله ﷺ، توفي عام ١٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء:(٢/ ٦٢٩).

(٣) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، حواري رسول الله ﷺ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سل سيفه في سبيل الله، أسلم وله ست عشرة سنة، وتوفي مقتولاً غدراً عام ٣٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء:(١/ ٥٨).

(٤) الناضح: هو الجمل الذي يسقى عليه الماء. انظر: فتح الباري(١١/ ٦٧٢).

(٥) بكسر الهمزة وسكون الخاء كلمةٌ تقال للبعير لمن أراد أن ينيخه، فتح الباري(١٠/ ٢٣٥).

بخادم فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني[1].

ومن مظاهر الرحمة بضعفها الجسدي والفطري أنه ﷺ نهى السائق الذي ساق بهن[2] ذات يوم في سفر فأسرع سَوْقَ الجمال فأمره أن يرفق بهن، وشبههن بالقوارير[3] لرقتهن وسرعة تأثرهن لو تعرضن لمكروه، فالجمال تسرع حين يحدوها الحادي وقد تُسقط مَن عليها. عن أنس بن مالك[4] ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ في مسيرٍ له، فحدا الحادِي فقال النبي ﷺ: «**ارفق يا أَنجَشة**[5] **ويحك بالقَوَارِير**»[6]. وقيل: شبههن بالقوارير لسرعة تأثرهن بما يحدو به الحادي من النشيد وكان حسن الصوت، وفي الحديث كلا المعنيين، وهما في كلام أهل العلم الذي حكاه ابن حجر[7] -رحمه الله -في الفتح فقال: «قال الخطابي: [8]كان أنجشة أسود وكان في سوقه عنف، فأمره أن يرفق بالمطايا[9]، وقيل: كان حسن الصوت بالحداء[10] فكره أن تسمع النساء الحداء، فإن حسن الصوت يحرك النفوس، فشبّه ضعف عزائمهن وسرعة تأثير الصوت فيهن

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٤٩٢٦، كتاب النكاح، باب الغيرة.(٥/ ٢٠٠٢).

(٢) سيأتي اسمه وترجمته.

(٣) القواريرُ من الزُّجاج يُسْرِع إليها الكسر ولا تقبل الجَبْرَ. انظر: لسان العرب(١٢/ ٦٥).

(٤) أنس بن مالك بن النَّضر عَديِّ بن النَّجَّار، أَبُو حمزة الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، وَتِلْمِيذُهُ، وَآخِرُ أَصْحَابِهِ مَوْتاً، خَدَمْ النبي ﷺ عَشْرَ سِنِيْنَ، وتوفي سنة ٩٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء(٤/ ٤١٧).

(٥) قال ابن عبد البر: هو عبدٌ أسود كان يقود بنساء النبي، عام حجة الوداع، وكان حسن الحداء، وكانت الإبل تزيد في الحركة بحدائه. انظر: الاستيعاب(١/ ١٤٠).

(٦) رواه البخاري برقم: ٥٧٤١ في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء، وباب ما جاء في قول الرجل: ويلك، وباب من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفاً، وباب المعاريض مندوحة عن الكذب، ومسلم برقم: ٢٣٢٣ في كتاب الفضائل، باب رحمة النبي ﷺ بالنساء.

(٧) شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، الشافعي، صاحب أشهر شرح لصحيح الإمام البخاري أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة. للاستزادة انظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، لشمس الدين السخاوي. تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد.

(٨) أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف، توفي ببست في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء(١٧/ ٢٣).

(٩) جمع مطية وهي ما يركب ويمتطى من الدواب، كالإبل والنوق. انظر: لسان العرب(١٤/ ٩٤).

(١٠) الحداء: هو الغناء للإبل عند سوقها، وأول من سنّه مضر بن نزار بن معد. انظر: لسان العرب(٤/ ٦٣).

بالقوارير في سرعة الكسر إليها، وجزم ابن بطال[1] بالأول، فقال: القوارير كناية عن النساء اللاتي كن على الإبل التي تساق حينئذ، فأمر الحادي بالرفق في الحداء؛ لأنه يحث الإبل حتى تسرع فإذا أسرعت لم يؤمن على النساء السقوط، وإذا مشت رويدا أمن على النساء السقوط، قال: وهذا من الاستعارة البديعة؛ لأن القوارير أسرع شيء تكسيراً، فأفادت الكناية من الحض على الرفق بالنساء في السير ما لم تفده الحقيقة لو قال: ارفق بالنساء.

وجوز القرطبي[2] في «المفهم» الأمرين فقال: شبههن بالقوارير لسرعة تأثرهن وعدم تجلدهن، فخاف عليهن من حث السير بسرعة السقوط أو التألم من كثرة الحركة والاضطراب الناشئ عن السرعة، أو خاف عليهن الفتنة من سماع النشيد»[3]. كما كان ﷺ يرحم الضعيفة من النساء فرخص في الحج للضعفة من أهله وللنساء بالدفع من مزدلفة والرمي قبل طلوع الفجر. وقد روت أسماء بنت أبي بكر –رضي الله عنها– أن رسول الله ﷺ: «أذن للظُّعن»[4][5].

وكان ﷺ يرحم المرأة حتى في حالات ضعفها العارض كالحزن والهمّ فيستجيب لها حين تناديه لتسأله وحتى حين تبتعد به في سكك المدينة لئلا يسمع الناس شكواها، وكانت المرأة تأتيه فتسأله فينطلق؛ ليسمع منها ويقضي حاجتها. روى أنس بن مالك ﷺ أن امرأةً في عقلها شيء جاءت إلى النبي ﷺ فقالت له: إن لي إليك حاجة، فقال:

---

(١) شارح صحيح البخاري، العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة، توفي عام ٤٤٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء(١٨/٤٧).

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. فقيه مفسر عالم باللغة، وُلد في مدينة قرطبة، توفي عام ٦٧١هـ في صعيد مصر. انظر: شذرات الذهب، لابن العماد(٥/٣٣٥).

(٣) انظر: فتح الباري(١٠/٥٤٥).

(٤) جمع ظعينة، وهي: المرأة، وقيل: المرأة في الهودج، وقيل: هو الهودج. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني(١٠/٣٧).

(٥) رواه البخاري برقم: ١٥٩٥، كتاب الحج، باب من قدم ضعفة أهله بليل فيقفون بالمزدلفة ويدعون ويقدم إذا غاب القمر.

«**اجلسي في أي طريق المدينة شئت أجلس إليك**»[1]. ويحدثنا أيضاً خادِمُه أنس ﷺ بحديث آخر فيقول: «كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت»[2]. ولهذا لم يمنع سائلةً من باب داره ولا امرأة شاكيةً، بل كان فيضاً من الرحمة ﷺ فإذا جاءت لتسأل وهو نائم في مقيله[3] سأل عنها حين يقوم. عن زينب الثقفية[4] امرأة عبد الله بن مسعود[5] -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - قالت: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «**تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن**» قالت: فرجعت إلى عبد الله بن مسعود فقلت: إنك رجلٌ خفيف ذات اليد وإن رَسُول اللهِ ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله فإن كان ذلك يجزي عني وإلا صرفتها إلى غيركم، فقال عبد الله: بل ائتيه أنت. فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رَسُول اللهِ ﷺ حاجتي حاجتها، وكان رَسُول اللهِ ﷺ قد ألقيت عليه المهابة، فخرج علينا بلال[6] فقلنا له: ائت رَسُول اللهِ ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما ولا تخبره من نحن، فدخل بلال على رَسُول اللهِ ﷺ فسأله فقال له رَسُول اللهِ ﷺ: «**من هما**» قال: امرأة من الأنصار وزينب. فقال رَسُول اللهِ ﷺ: «**أي الزيانب هي؟**» قال: امرأة عبد الله، فقال رَسُول اللهِ ﷺ: «**لهما أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة**»[7].

وافتقد ﷺ ذات يومٍ أَمَةً سوداء ضعيفة[8]، كانت تخدم المسجد وتنظفه حتى إذا

---

(١) صحيح مسلم برقم: ٣٣٢٦، كتاب الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به.
(٢) رواه البخاري برقم: ٥٧٢٤، كتاب الأدب، باب الكبر.
(٣) أي في وقت القيلولة.
(٤) زينب بنت معاوية، وقيل: أبي معاوية الثقفية، امرأة عبدالله بن مسعود - رضي الله عنهما -، روت عن النبي ﷺ وعن زوجها. انظر: الإصابة(٨/ ٩٨)
(٥) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي من مضر بن نزار، من السابقين الأولين النجباء، توفي عام ٣٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء(١/ ٤٦٣).
(٦) مولى أبي بكر الصديق ، وأمه يقال لها: حمامة، وهو مؤذن رسول الله ﷺ ومن السابقين للإسلام، توفي عام ٢١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء(١/ ٣٤٨).
(٧) رواه البخاري برقم: ١٤٦٦، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر، ورواه مسلم برقم: ١٠٠٠، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين.
(٨) لم يرد لها تسمية سوى أم محجن، أو محجنة، من مساكين أهل المدينة. انظر: الإصابة(٤/ ٥٩)

أخبروه بموتها عتب ﷺ أن لم يوقظوه ليصلي عليها ليلاً، فيذهب لقبرها ويصلي عليها هناك ويدعو لها، عن أبي هريرة ﷺ أن امرأةً سوداء كانت تقُمّ[1] المسجد فماتت، فسأل النبي ﷺ عنها فقالوا: ماتت، فقال: «**أفلا كنتم آذنتموني بها، دلوني على قبرها فأتى القبر فصلى عليه**»[2]، قال القاضى عياض:« وفى حديث السوداء هذا، وصف ما كان عليه ﷺ من تفقد أحوال ضعفاء المسلمين، وما جُبِلَ عليه من التواضع والرأفة والرحمة بأمته[3]».

ثانياً: الرحمة بفهم الاختلاف وتقدير الحاجات النفسية للمرأة:

تختلف المرأة عن الرجل في الخِلقة وفي طبائع النفوس[4]؛ وقد قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾(آل عمران ٣٦). ورسولنا الكريم ﷺ كان له أدبٌ نبوي في تقدير هذا الاختلاف، ومن ذلك التقدير ما يلي:

١. كان ﷺ يقدّر طبيعة المرأة ويتفهّم ميولها إلى الإطالة في الكلام، فيحسن لها الإنصات ويشاركها الحديث – ولو طال – دون أن يضجر منها كحال الكثير من الرجال، بل يعلق ﷺ عليه بأجمل تعليقٍ كما ورد في حديث أم زرع[5] الطويل[6].

٢. وكان ﷺ يصبر على علوّ أصواتهن عنده، فعن سعدِ بنِ أبي وقاص[7] قال:

---

(١) تقمّ: تقوم بقمِّه، أي: كنسه، والقمامة الكناسة. انظر: معالم السنن للخطابي(٣/ ٣٥١).

(٢) رواه البخاري برقم: ٤٣٨، كتاب الصلاة، أبواب استقبال القبلة، باب كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان.

(٣) انظر: معالم السنن للخطابي(٣/ ٣٥١).

(٤) للاستزادة حول الفروق الخلقية والنفسية بين الرجل والمرأة، انظر: كتاب: «التمايز العادل بين الرجل والمرأة في الإسلام»، محمود بن أحمد الدوسري ، ط ١، دار ابن الجوزي، الدمام.

(٥) عاتكة بنت أكيمل بن ساعدة، وقيل: بنت أكهل بن ساعد، امرأة من خثعم، صاحبة الحديث المشهور بحديث أم زرع. انظر: شرح النووي على مسلم(١٦/ ٥٨٠).

(٦) رواه البخاري برقم: ٥١٨٩، كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل. وفيه قال ﷺ لعائشة: «**كنت لك كأبي زرع لأم زرع، غير أني لا أطلق**». ورواه مسلم برقم:٢٤٤٨، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر حديث أم زرع.

(٧) سعد بن أبي وقاص : من بني زهرة، أحد العشرة، وأحد السابقين الأولين، شهد بدرا والحديبية، وأحد الستة أهل الشورى، كان مجاب الدعوة، توفي عام ٥٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء(١/١٠٣)

استأذنَ عمرُ[1] على رسولِ اللهِ ﷺ وعندَهُ نساءٌ من قُريشٍ يُكلِّمنَهُ ويَستكثرنَهُ عاليةً أصواتهنَّ، فلما استأذنَ عمرُ قمنَ يبتَدرْنَ الحجابَ، فأذنَ له رسولُ اللهِ ﷺ ورسولُ اللهِ ﷺ يضحكُ، فقال عمرُ: أضحَكَ اللهُ سِنَّكَ يا رسولَ الله. فقال رسول الله ﷺ: «**عَجِبتُ من هؤُلاء اللاتي كنَّ عِندي، فلما سمِعنَ صوتكَ ابتدَرنَ الحجابَ**»[2]. قال عمرُ: فأنتَ يا رسولَ اللهِ كنتَ أحقَّ أن يَهبْنَ، ثم قال: أي عدوّاتِ أنفُسِهنَّ، أتهبنَنِي ولا تَهبنَ رسول الله ﷺ؟ قلنَ: نعم، أنت أفظُّ وأغلظُ[3] من رسولِ اللهِ ﷺ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**والذي نفسي بيدِه، ما لقِيكَ الشيطانُ قطُّ سالكاً فجّاً إلاّ سَلكَ فجّاً غيرَ فجِّك**»[4][5].

٣. وكان ﷺ يقدّر للمرأة حاجتها للأنس والزيارة: فكان ينام القيلولة في بيت أم سليم بنت ملحان[6]، عن أنس بن مالك قال: «إن أم سليم كانت تبسط للنبى نطعاً[7] فيقيل

---

(١) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، المُلقب بالفاروق، ثاني الخلفاء الراشدين وأحد أشهر القادة في التاريخ الإسلامي وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم بمكة، وتوفي مقتولاً عام ٢٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء(٢٨/ ٦٨).

(٢) ليس في هذا الحديث ما يدل على جواز كشف المرأة وجهها أمام الرجال الأجانب عنها؛ لأن هؤلاء النسوة اللاتي كن عند النبي ﷺ هن بعض أمهات المؤمنين، بدليل قوله: (يستكثرنه) أي: يسألنه زيادة النفقة، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: «(وعنده نسوة من قريش) هنَّ من أزواجه، ويحتمل أن يكون معهنَّ من غيرهن، لكن قرينة قوله: (يستكثرنه) يؤيد الأول». انتهى(٧/ ٤٧).

(٣) قال النووي –رحمه الله–: «لفظ الغليظ بمعنى، وهو عبارة عن شدة الخلق وخشونة الجانب، قال العلماء: وليست لفظة أفعل هنا للمفاضلة، بل هي بمعنى فظ غليظ، قال القاضي: وقد يصح حملها على المفاضلة، وأن القدر الذي في النبي ﷺ هو ما كان من إغلاظه على الكافرين والمنافقين، لقوله تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾، وكان يغضب ويغلظ عند انتهاك حرمات الله تعالى»، شرح مسلم(٧/ ٥٤٢)

(٤) الفجّ: هو الطريق، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: «فيه فضيلة عظيمة لعمر تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه لا أن ذلك يقتضي وجود العصمة؛ إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه في طريق يسلكها، ولا يمنع ذلك من وسوسته له بحسب ما تصل إليه قدرته». انتهى(٣/ ٥٨).

(٥) رواه البخاري برقم: ٣٤٨٠، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص العدوي القرشي ﷺ.

(٦) الرميصاء بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام: من بني النجار، والدة أنس، تزوجت أبا طلحة بعد وفاة زوجها مالك بن النضر. انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٣٠٥)

(٧) النطع: هو البساط من الجلد. انظر: لسان العرب(١٤/ ٢٨٧).

عندها على ذلك النطع»[1]. وكان يزور أم أيمن[2] مولاته وحاضنته – رضي الله عنها –، ولما توفي ﷺ قال أبو بكر: «يا عمر اذهب بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فذهبا فجلسا عندها فأخذت تبكي، وقد تذكرت، فقال أبو بكر: مالك تبكين؟ أما تعلمين أن ما عند الله خيرٌ لرسول الله ﷺ مما عندنا؟ قالت: أعلم ذلك، ولكن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء»[3].

٤. ومن مظاهر الرحمة بتقدير الاختلاف في المرأة أنه ﷺ يقدر حاجتها للزينة فيقول: «**حُرِّمَ لباس الحرير والذَّهب على ذكور أمتي، وأُحِلَّ لإناثهم**»[4]، فالمرأة جبلت على حب الزِّينة، كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (الزخرف: ١٨).

٥. كما كان ﷺ يقدر حاجتها للهو يوم العيد والعرس، فيقول لعائشة[5] –رضي الله عنها– في عرس فتاة من الأنصار[6]: «**هلا كان معكم شيء من اللهو**؟؟»، ويعلمها كيف تنشد الأهازيج[7]، وكان حين يأتي يوم العيد يأمرهن جميعا أن يخرجن ليشاركن المسلمين فرحتهم، حتى من لم تكن منهن تصلي لعذر الحيض؛ لتشهد الفرحة والدعاء ويخصهن ببعض خطبته، بل يمنع الرجال من اعتراض رغبتهن في الخروج للمساجد ما لم يكن في ذلك ضرر عليهن، فقال: «**لا تمنعوا**[8] **إماء الله**

---

(١) رواه البخاري برقم: ٥٩٢٥، كتاب الاستئذان، باب من زار قوماً فقال عندهم.

(٢) بركة الحبشية: مولاة رسول الله ﷺ، وحاضنته ورثها من أبيه، ثم أعتقها، وتزوجت بعد أبي أيمن زيد بن ثابت ﷺ، فولدت له أسامة حِب رسول الله ﷺ. انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٢٢٤).

(٣) رواه مسلم برقم: ٤٤٩٢، كتاب فضائل الصحابة – رضي الله عنهم –، باب من فضائل أم أيمن.

(٤) أخرجه الترمذي برقم: ١٧٢٠، كتاب اللباس عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الحرير والذهب، وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه النسائي بمعناه في كتاب الزينة، باب تحريم لبس الذهب على الرجال.

(٥) أم المؤمنين، وابنة الصديق، الطاهرة المبرأة، حافظة الحديث وحبيبة رسول الله ﷺ. انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ١٣٥).

(٦) قال ابن حجر: «لم أقف على اسمها صريحاً وكانت يتيمة في حجر عائشة». فتح الباري(٦/ ١٣٤).

(٧) القصة رواها البخاري برقم: ٤٨٦٨ كتاب النكاح، باب النسوة اللائي يهدين المرأة إلى زوجها ودعائهن بالبركة. والأهازيج هي غناء العرس. انظر: فتح الباري(٣/ ١٣٤).

(٨) سئل الشيخ ابن باز –رحمه الله–: هل تجوز صلاة المرأة في المسجد وهي مستترة ومحتشمة ولم تمس طيباً ولم تتبرج وهي تريد بذلك وجه الله عز وجل إلا أن زوجها غير راض عنها

مساجد الله وبيوتهن خير لهن»[1].

٦. وكان ﷺ يقدّر حياء المرأة السائلة عن أمرٍ مما يستحى منه فيُجمل في إجابته ويترك الإيضاح لامرأة مثلها، عن عائشة –رضي الله عنها– أنَّ امرأة[2] سألت النَّبيَّ ﷺ عن غسلها مِن المحيض، فأمرها كيف تغتسل، ثمَّ قال: «**خذي فرصة**[3] **مِن مسك فتطهَّري بها**». قالت: كيف أتطهر بها؟ قالت: فستر وجهه بطرف ثوبه، وقال: «**سبحان الله! تطهَّري بها**». قالت عائشة: فاجتذبت المرأة، فقلت: تتبَّعي بها أثر الدم[4]. وهذا درسٌ للحياء، ورسم لحدود حديث الرجل مع المرأة الأجنبية؛ ولهذا اجتذبتها عائشة؛ لتتولى التصريح لا التلميح.

ثالثاً: الرحمة باحترام التميز، والمكانة الاجتماعية الخاصة للمرأة:

لا يخفى على أحدٍ أنه ﷺ بعث في أمةٍ ترى المرأة متاعاً مهاناً لا يكاد يخرج دورها عن خدمة الرجل وقضاء حاجته، وقد ذكر القرآن الكريم عادة الجاهلية في وأد البنات وهنّ أحياء، واعتبارهن عاراً في أصل الوجود، فضلاً عن منحهن مكانة أو سؤدداً أو مزية، فجاء ﷺ برحمة الإسلام فكان يقدر المرأة ويحترم تميزها في كل المجالات، ومن

فقال: للمرأة أن تصلي في المسجد مع التستر وعدم الطيب، وليس لزوجها منعها من ذلك إذا التزمت بالآداب الشرعية؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»، وقال ﷺ «إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها»، فإذا خرجت محتشمة وبدون طيب فلا بأس ولو أن زوجها غير راض للحديثين المذكورين، وإن صلت في بيتها ولم تخرج تطيبا لنفسه وابتعاداً عن أسباب الفتنة فهو أفضل. انظر: الموقع الرسمي لفتاوى الشيخ.

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة برقم: ٨٤٩، ومسلم في كتاب الصلاة برقم :٦٦٨، واللفظ متفق عليه بدون قوله: «وبيوتهن خير لهن»، وهذه الزيادة عند أبي داود، وصححها الألباني في صحيح سنن أبي داود(٣/ ١٠٣)

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري: «وروى الخطيب في المبهمات من طريق يحيى بن سعيد عن شعبة هذا الحديث فقال: أسماء بنت يزيد بن السكن بالمهملة والنون الأنصارية التي يقال لها خطيبة النساء، وتبعه ابن الجوزي في التلقيح والدمياطي». انتهى(٢/ ٤٩٥).

(٣) الفرصة: قطعة من صوف أو قطن أو جلدة عليها صوف. وقال ابن قتيبة: هي « قرضة» بفتح القاف وبالضاد المعجمة. انظر: فتح الباري(١/ ٤٩٤)

(٤) رواه البخاري برقم: ٣٠٨. كتاب الحيض، باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض، وكيف تغتسل؟، ورواه مسلم برقم: ٣٣٢ كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة.

أهم هذه المظاهر الخاصة باحترام التميز تقديره ﷺ موهبة المرأة، فكان يسمع الشعر من الخنساء[١] ويستزيدها منه، وكان يعجبه شعرها وينشدها بقوله لها: «**هيه يا خناس**» ويوميء بيده[٢].

وكان ﷺ يكرم ذوي الهيئات من النساء أيضاً: فهذه فتاة من طيّ[٣] كان أبوها حاتم الطائي[٤] من أكرم الناس وقد جاءته ﷺ فعرفته بنفسها، فأكرمها وقضى حاجتها. فقد كان من خبرها أن رسولَ الله ﷺ أرسل عليَّ بنَ أبي طالب[٥] في خمسين فارسًا؛ ليهدم صنمَ طيِّئ فاعترضه عبَّادُه، فهزمهم واستاق نعَمهم، وسبى[٦] بعضَ نسائهم، وكان في السبي سفانة[٧] بنتُ حاتم الطائي، أختُ عدي[٨]، وفرَّ أخوها عديٌّ، فلما جاءت سفانة للمدينة، قالت: يا رسول الله، هلك الوالدُ، وغاب الوافد، فامنن عليَّ!، فسألها: «**من الوافدُ؟**»، فأجابت: عديٌّ بن حاتم، فقال: «**الفارّ من الله ورسوله**»، ثم منَّ عليها بعد ذلك، وأطلقها، ولما جاءت إلى أخيها عديٍّ بن حاتم خبَّرته بما رأت من كرم رسول الله ﷺ وحلمه، ودعَتْه للوفود إليه، فجاء عديٌّ إلى رسول الله ﷺ، فأخذه إلى بيته، فمرَّا

---

(١) الخنساء: بنت عمرو بن الشريد الشاعرة السلمية، قَدِمت على رسول الله ﷺ مع قومها من بني سُليم فأسلمت معهم. انظر: أسد الغابة(٣/ ٦٨٨).

(٢) السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي،(٢/ ٢٥٧)، ولم أجده مخرجاً في كتب الحديث.

(٣) قبيلة سكنت شمال الجزيرة العربية، وتحديداً في بلاد الجبلين، أجا وسلمى. انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ص ١٢٠.

(٤) حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرؤ القيس بن عدي بن أخزم، من قبيلة طيء. شاعر عربي جاهلي لم يعرف تاريخ ميلاده تحديداً ولكنه توفي قبل هجرة الرسول ب ٤٦ عاماً، كان فارساً وكريماً يضرب به المثل في الكرم. انظر: البداية والنهاية(٢/ ١٦٣).

(٥) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف: الخليفة الراشد ابن عم رسول الله ﷺ. وزوج ابنته فاطمة، وأحد السابقين الأولين، والعشرة المبشرين. تربى في حجره ﷺ، مات مقتولاً غدراً، قتله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي وهو يصلي الفجر. انظر: سير أعلام النبلاء(٢٨/ ٢٢٣).

(٦) السبي: لغةً الأسر، أمّا في الاصطلاح فالسّبي: الأسرى من النّساء أو الرّجال الذين يَقعون في أسر المسلمين بعد انتهاء المعركة، ولِسبي النّساء أحكامٌ وضوابطٌ في الشّريعة الإسلاميّة. انظر: الخلاصة في أحكام الأسرى والسبي في الفقه الإسلامي، علي بن نايف الشحود، ط٢، ١٤٣٣هـ.

(٧) ابنة حاتم الطائي، وكان يكنى بها، أسلمت وحسن إسلامها. انظر: أسد الغابة(٧/ ١٤٣).

(٨) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي، الأمير، وفد على النبي ﷺ سنة سبع فأكرمه، وأسلم وحسن إسلامه. انظر: سير أعلام النبلاء(٣/ ١٦٣).

بعجوز استوقفت رسولَ ﷺ طويلاً، فلما رأى عديٌّ ذلك قال: ما هو بمَلِك!، فلما دخل بيتَ رسول الله ﷺ قدَّم إليه وسادةً حشوها لِيفٌ، وقال: «**اجلس على هذه**»، فردَّها إليه عديٌّ، فقال له رسول الله ﷺ: بل أنت تجلس عليها، وقال له: «**يا عديُّ، أسلِمْ تَسْلَمْ**» كرَّرها ثلاثًا، فقال له عدي: إني على دينٍ، فخبره رسول الله ﷺ بأنه أعلمُ بدينه منه، وبسيرته التي كان يسير فيها بقومِه، فقال عدي: والله ما علم بهذا إلا نبيٌّ! الحديث»،[1] وهذه غاية الرحمة مع الإكرام وجبر الخاطر منه ﷺ؛ لأنها أخلاق نبي الرحمة.

ومن مظاهر هذا التقدير المحفوف بالرحمة النبوية: قبول النبي ﷺ إجارة أم هانئ[2] -رضي الله عنها -، يوم الفتح[3] في زوجها[4]، وكان قد فرّ من المسلمين، ففي صحيح البخاري أن أم هانئ بنت أبي طالب «ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل ، وفاطمة [5]ابنته تستره، فسلمت عليه، فقال: «**من هذه؟**»، فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال: «**مرحبا بأم هانئ**»، فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد، فلما انصرف، قلت: يا رسول الله زعم ابن أمي أنه قاتلٌ رجلاً قد أجرتُه! فلان بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»، قالت أم هانئ: وذاك ضحى[6].

رابعاً: الرحمة بمواساة حزن المرأة ومراعاة مشاعرها -ولو في ساحة الحرب-:

كان لفرط رحمته ﷺ يشق عليه حزن النساء، لعلمه بضعفهن ورقة قلوبهن، ومن صور تلك الرحمة أنه ﷺ وقف ذات يوم على باكيةٍ تنوح على قبر ولدها ليُصَبِّرها فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي؛ فما كان منه ﷺ إلا أن انصرف دون أن يكثر القول عليها، حتى إذا علمت أنه رسول الله ﷺ جاءت تعتذر إليه فقال لها: «**إنما الصبر**

---

(١) القصة ذكرها ابن حجر في الفتح، كتاب المغازي، باب قصة وفد طيئ وحديث عدي بن حاتم، عند شرحه لحديث رقم: ٤١٣٣.

(٢) فاختة بنت أبي طالب أخت علي وجعفر، أسلمت يوم الفتح. انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٣١٢).

(٣) المراد: فتح مكة، عام ٨هـ.

(٤) هو هبيرة بن أبي وهب المخزومي.

(٥) الزهراء أم الحسن والحسين سيدة نساء العالمين. انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ١١٩).

(٦) رواه البخاري برقم: ٥٨٠٦، كتاب الأدب، باب ما جاء في زعموا.

عند الصدمة الأولى»[1]، وتتجلى صورة الرحمة بالمرأة في ساحة القتال في المعارك، فقد كان ﷺ ينهى أصحابه –رضي الله عنهم أجمعين – أن يقتلوا طفلاً أو امرأة أو شيخاً كبيراً، ولا أن يفرقوا في السبي والأسر بين الأم وولدها. ولقد عاتب بلالاً ﷺ حين مرّ ببعض السبايا من خيبر[2] على بعض القتلى من أهلهن فرأينهم وبكين، فقال ﷺ: «**أنزعت الرحمة من قلبك يا بلال؟**»[3]، وفيهن صفية بنت حيي[4] –رضي الله عنها– والتي خيَّرها بين أن يتزوجها وتبقى عنده أو يردها إلى أهلها، فاختارته، وأسلمت لِما رأت من كريم أخلاقه ﷺ.

ومن صور الرحمة بحزن المرأة موقفه ﷺ مع عمته صفية[5]؛ فإنه لما كانت معركة أُحد[6] وانقضت المعركةُ كادت جثمان حمزة[7] ﷺ تحيل[8] من فرط ما مُثِّل به، فلما رآه رسول الله ﷺ اشتد حزنه، ووقف بنجوة[9] منه، ثم أبصر فوجد عمَّته صفية بنت عبد المطلب مقبلةً، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير: «**دونك أمك فامنعها**»، فلما وقف ابنها يعترضها، قالت: دونك لا أرض لك، لا أم لك، فقال ﷺ: «**خلِّ سبيلها**» فسارت

---

(١) رواه البخاري برقم: ١٢٢٣ كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ومسلم برقم: ٩٢٦، كتاب الجنائز، باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى.

(٢) وقعت غزوة خيبر عام ٧هـ، بعد العودة من صلح الحديبية، هرب اليهود إلى حصونهم وحاصرهم المسلمون وفتحوا حصونهم واحداً تلو الآخر. انظر: البداية والنهاية(٤/ ١٠٥).

(٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة، ص٢٤٦، والطبري في تاريخه(٣/ ١٢٠)، وابن حجر في الإصابة(٨/ ٢١٠).

(٤) صَفِيَّة بنت حُيَيّ بن أَخْطَب بن سَعْيَةَ بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النَّضير بن النَّحَّام بن يَنْحُوم من بني إسرائيل مِنْ سِبط هارون بن عمران ﷺ، اصطفاها النبي ﷺ مِن سبي خيبر، وخيرها فاختارته، وأسلمت، توفيت عام ٥٠هـ. انظر: الإصابة(٨/ ٢١٠).

(٥) عمة رسول الله ﷺ ووالدة الزبير بن العوام أحد العشرة، وهي شقيقة حمزة، أمها هالة بنت وهب خالة رسول الله ﷺ أسلمت وهاجرت وعاشت إلى خلافة عمر. انظر: الإصابة(٨/ ١٠٢).

(٦) وقعت معركة أحد في شوال من السنة الثالثة للهجرة، بعد عام من وقعة بدر، وكانت الغلبة فيها أول الأمر للمسلمين، ثم أحاط المشركون بهم بعد نزول الرماة، ووقع فيها جمعٌ من الشهداء. انظر: البداية والنهاية(٤/ ٥٠)

(٧) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف: عم رسول الله ﷺ، أبو عمارة، أسلم بمكة وهاجر وقتل يوم أحد. انظر: سير أعلام النبلاء(١/ ١٧٢).

(٨) تحيل: أي تتغير، وحال الشيء إذا تغير لونه، انظر: المعجم الوسيط(١/ ٢٠٩).

(٩) النجوة: هي المرتفع من الأرض، انظر: المعجم الوسيط(٢/ ٣٠٢).

حتى أتت أخاها فنظرت إليه، فصلَّت[1] واسترجعت، واستغفرت له، وقالت لابنها: « قل لرسول الله ما أرضانا بما كان في سبيل الله، لأحتسبن، ولأصبرن إن شاء الله». قال ابن إسحاق: «خرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة، فوجده ببطن الوادي قد مُثّل به، فقال: «**لولا أن تحزن صفية -يعني بنت عبد المطلب- وتكون سنة بعدي لتركته حتى يحشر من بطون السباع وحواصل الطير**»[2]، والشاهد هو حرصه ﷺ على ألا تحزن صفية رغم حزنه الشديد على عمه.

خامساً: الرحمة بتقدير رأي المرأة ومشاعرها في علاقتها الزوجية:

فقد جاءت تلك الصحابية الشاكية[3] بُغْضَها لزوجها؛ لتصف حالها لأرحم الخلق بالنساء حين وقفت بين يديه، وقالت: إن ثابتاً[4] لا أنقم عليه في خُلقٍ ولا دين ولكني أكره الكفر[5] في الإسلام. فقال: «**أتردين عليه حديقته؟**»، قالت: نعم، فقال له: «**خذ الحديقة وطلقها تطليقه**»[6]، وكان ﷺ يحترم رأيها في العلاقة الزوجية ولو كان ذلك مما يشقُّ على غيرها، فقد كان في المدينة أَمَةٌ مملوكةٌ يقال لها: بريرة[7] وكان زوجها عبداً يقال له: مُغيث[8]، وكان يحبها حباً شديداً، فلما أعتقتها عائشة -رضي الله عنها- اختارت نفسها[9] فشق ذلك على زوجها، وتألم لفراقها، ورقّ له النبي ﷺ ورحمه فسعى يشفع له عندها. عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: إن زوج بريرة كان

---

(١) الصلاة هنا بمعنى الدعاء.

(٢) القصة رواها السهيلي في الروض الأنف(٢/ ١٧٢) وابن هشام في السيرة(٣/ ٤٧) وذكرها ابن حجر في فتح الباري(٧/ ٤٣٠).

(٣) حبيبة بنت سهل، وقيل: جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول، انظر: فتح الباري(٩/ ٣٩٥).

(٤) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج خطيب الأنصار. انظر: سير أعلام النبلاء(١/ ٣٠٩)

(٥) قيل المراد: كفران العشير، وقال الطيبي: المعنى أخاف على نفسي في الإسلام ما ينافي حكمه من نشوز وفرك وغيره مما يتوقع من الشابة الجميلة المبغضة لزوجها إذا كان بالضد منها، فأطلقت على ما ينافي مقتضى الإسلام الكفر. ويحتمل أن يكون في كلامها إضمار، أي إكراه لوازم الكفر من المعاداة والشقاق والخصومة . انظر: فتح الباري(٧/ ٣٠٧).

(٦) رواه البخاري برقم: ٤٨٦٧، كتاب الطلاق، باب الخلع وكيف الطلاق فيه.

(٧) مولاة عائشة أم المؤمنين، كاتبتها على نفسها حتى عتقت. انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٢٩٨٩).

(٨) زوج بريرة: وهو مولى أبي أحمد بن جحش الأسدي. انظر: الإصابة(٦/ ١٩٦).

(٩) أي يحق لها أن تطلق من زوجها؛ لأنه لم يعد كفؤاً لها فهي حرة وهو عبد.

عبداً يقال له: مغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ لعباس[1]: «**يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة، وبغض بريرة مغيثاً!**». فقال النبي ﷺ: «**لو راجَعْتِه؟**» فقالت: يا رسول الله أتأمرني؟ قال: «**إنما أنا شافع**». فقالت: لا حاجة لي فيه[2]. لقد أدركته الرحمة بهما جميعاً فشفع للزوج رحمةً به، وامتنع عن أمر الزوجة أمراً يلزمها رحمةً بها وإيماناً بحقها في الاختيار.

ومن مظاهر الرحمة في هذا المجال تقدير واحترام رأي أم هانئ بنت أبي طالب -رضي الله عنها - في رفضها الزواج منه ﷺ. فعن أم هانئ أن رسول الله ﷺ خطبها، فذكرت أن لها صبية صغاراً فتركها وقال: «**خير نساء ركبن الإبل، صالح نساء قريش، أحناه على ولد طفل في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده**»[3]. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب فقالت: يا رسول الله إني قد كبرت ولي عيال. وعند الترمذي: عن أم هانئ بنت أبي طالب، قالت: خطبني رسول الله ﷺ،فاعتذرت إليه، فعذرني[4]. والمتأمل يجد أنه لم يعذرها فقط، بل أثنى على فرط شفقتها على أولادها وخوفها من التقصير في التفرغ لهم.

ومن مظاهر الرحمة في هذا الجانب أنه ﷺ لم يكن يأخذ النساء من السبي ويصطفيهن لنفسه دون تخيير، وكان يستأذنهن في أنفسهن، ويقدر لهن اعتذارهن إذا اعتذرن، وقد آذن صفية وجويرية[5] في أنفسهن فاخترنه، واعتذرت امرأة من بني تميم

---

(١) عم رسول الله ﷺ خرج مع قومه إلى بدر فأسر يومئذ، وفدا نفسه ومن معه، وكان من أجار أبا سفيان يوم الفتح. انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٧٨).

(٢) رواه البخاري برقم: ٤٨٧٥، في مواضعَ متفرقة تقرب من عشرين موضعًا في أبواب مختلفة مختصرًا ومطوَّلاً، وكذا مسلم في مواضع، ومنها رقم: ١٥٠٤.

(٣) رواه البخاري برقم: ٤٧٩٤، كتاب النكاح، باب إلى من ينكح وأي النساء خير وما يستحب أن يتخير لنطفه من غير إيجاب. ورواه مسلم برقم:٢٥٢٧، كتاب فضائل الصحابة - رضي الله عنهم -، باب من فضائل نساء قريش.

(٤) رواه الترمذي برقم: ٣٢١٤ في كتاب تفسير القرآن، باب ومن الأحزاب، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٠).

(٥) بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية : سبيت يوم غزوة المريسيع عام ٥هـ، وكان اسمها برّة ، فغيره النبي ﷺ وكانت من أجمل النساء، أتت النبي تطلب منه إعانة في فكاك نفسها، فقال: «**أو خير من ذلك ؟ أتزوجك** »، فأسلمت وتزوج بها؛ وأطلق لها الأسارى من قومها وكان أبوها=

وقعت في السبي عنه، فألحقها بأهلها فعاتبوها، «عن ابن عباس[1] قال: خطب رسول الله ﷺ صفية بنت بشامة بن نضلة العنبري[2]، وكان أصابها من السبي، فخيرها: «**إن شئت أنا، وإن شئت زوجك.فقالت: بل زوجي، فأرسلها فلعنتها بنو تميم**»[3].

وحتى من وهبته نفسها فقبلها ثم تراجعت أمضى تراجعها، روى ابن عباس فقال: أقبلت ليلى بنت الخطيم[4] إلى رسول الله وهو مولٍّ ظهره إلى الشمس، فضربت على منكبه فقال: «**من هذا؟**» فقالت: أنا بنت مطعم الطير، ومباري الريح، أنا ليلى بنت الخطيم، جئتك لأعرض عليك نفسي تزوجني؟ قال: «**قد فعلت**»، فرجعت إلى قومها، فقالت: قد تزوجت النبي، فقالوا: بئس ما صنعت! أنت امرأة غيرى، ورسول الله صاحب نساء تغارين عليه، فيدعو الله عليك، فاستقيليه[5]، فرجعت، فقالت: أقلني يا رسول الله، فأقالها»[6].

= سيدا مطاعا .انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٢٦٢).

(١) حبر الأمة وفقيه العصر وإمام التفسير: أبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله ﷺ، من صغار الصحابة، وله روايات. انظر: سير أعلام النبلاء(٣/ ٣٣٢).

(٢) ذكرها ابن سعد في الطبقات برقم:٤١٤٧ وترجم لها بهذا الأثر(٨/ ١٢٢).

(٣) البداية والنهاية(٥/ ٤٥٨).

(٤) أخت قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو، كانت ممن وهبت نفسها للنبي ﷺ، ذكرها ابن سعد في الطبقات برقم: ٤٩٧٤ وترجم لها بهذا الأثر(١٠/ ١٤٥)

(٥) الإقالة في اللغة: هي الرفع والإزالة ومنه: أقال الله عثرته أي سامحه. ومنه الإقالة في البيع؛ لأنها رفعٌ للعقد. انظر: المصباح المنير، للفيومي(٢/ ٥٢١).

(٦) البداية والنهاية(٥/ ٤٥٨).

المطلب الثاني

تطبيقات الرحمة بالمرأة التي وردت كوصايا للأمة

لم تقتصر مظاهر قيمة الرحمة بالمرأة في حياته ﷺ على أحداث خاصة، بل كانت العناية بالمرأة منهج دعوته، وكرر الوصية بهن؛ لتكون منهجاً للمؤمنين، ومن ذلك ما يلي:

١. الوصية بحسن عشرة المرأة: فقد ربط ﷺ الخيرية بالسلوك الطيب، والسيرة الحميدة بين الأهل أولاً بقوله: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»(١). كما يؤكد ﷺ أن الأخلاق مع النساء هي المقياس للخيرية في الناس فيقول: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم**»(٢).

٢. الوصية بعدم الضرب -وإن كان مأذوناً فيه بشرطه ووصفه-(٣): وقد نهى ﷺ عن ضرب الزوجة، مقرراً حاجتها إلى الحب والتقدير، وأنها ليست مجرد جسدٍ يتُسلَّى به فقال: «**لا يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد، ثم لعله يضاجعها في آخر يومه**»(٤). وقال عمن يضرب: «**أولئك ليسوا بخياركم**»(٥) وعن عائشة-رضي الله عنها- قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله»(٦).

---

(١) رواه الترمذي برقم: ٣٨٩٥، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، وصححه الألباني في الصحيحة(١/ ٢٨٤)

(٢) رواه الترمذي برقم: ١١٦٢ كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ووافقه الألباني في الصحيحة(١/ ٢٨٣).

(٣) منها: أن يكون الضّرب غير مبرّح، وغير مدم، وأن يتوقّى فيه الوجه والأماكن المخوفة؛ لأنّ المقصود منه التّأديب لا التعذيب أو الإتلاف. انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية(١٠/ ٢٤).

(٤) رواه البخاري برقم: ٤٩٠٨، كتاب النكاح، باب ما يكره من ضرب النساء، ورواه مسلم بنحوه برقم: ٥٠٩٥ في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥) رواه أبو داود برقم: ٢١٤٦، كتاب النكاح، باب في ضرب النساء، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود(٥/ ١٤٦)

(٦) رواه البخاري برقم: ٣٣٦٧، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ورواه مسلم برقم: ٢٣٢٨، كتاب الفضائل، باب مباعدة النبي للآثام واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

٣. الوصية بتقبل الاختلاف والنقص -إن وجد- والصبر على ذلك: ففي الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع،وإن أعوج شيءٍ في الضلع أعلاه، فاستوصوا بالنساء خيرا**»[١]، وهذا أمر للأزواج والآباء والإخوة وغيرهم بالوصية بالنساء خيراً ولو وجد ما يكره من طباعهن.

٤. الوصية بعدم البغض لوجود بعض النقص: أوصى ﷺ بعدم كره المرأة لبعض صفاتها فقال: «**لَا يَفْرَكْ**[٢] **مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**»[٣].

٥. الوصية بحفظ العهد ورعاية الميثاق: فكان كثير التذكير بالميثاق بين الأزواج فعن جابر[٤] ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:«**اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، إن لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**»[٥] ، وقال: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرا؛ فإنهنّ عوانٌ**[٦]**عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**»[٧].

٦. التغليظ في ظلم المرأة: فكان آخر ما أوصى به ﷺ قبل موته: «**إني أُحَرِّجُ**[٨] **حقّ الضعيفين: اليتيم والمرأة**»[٩].

---

(١) رواه البخاري برقم: ٤٨٩٠، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، ورواه ومسلم برقم:١٤٦٨، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

(٢) قال أهل اللغة: فركه بكسر الراء يفركه إذا أبغضه، والفرك بفتح الفاء وإسكان الراء البغض، انظر: شرح النووي على مسلم(٤ / ٤٧)

(٣) رواه مسلم برقم: ١٤٦٩، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

(٤) جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري: له ولأبيه صحبة، استشهد أبوه في أحد، وكان من المكثرين من رواية الحديث. انظر: سير أعلام النبلاء(٣ / ١٩٠).

(٥) رواه مسلم برقم: ١٢١٨، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ.

(٦) جمع عانية، والعاني: الأسير.

(٧) رواه الترمذي برقم: ١١٧٣، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، وقال حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجة برقم: ١٨٥١، كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة(٤ / ٣٥١).

(٨) أُحَرِّجُ: من التحريج أو الإحراج، أي أضيق على الناس في تضيع حقهما وأشدد عليهم في ذلك. انظر: شرح الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي على سنن ابن ماجة(٢/ ١٢١٣).

(٩) رواه ابن ماجة برقم:٣٦٧٨، كتاب الأدب، باب حق اليتيم، وحسنه الألباني في صحيحوضعيف سنن ابن ماجة(٣ / ٨٩).

المبحث الثاني

تطبيقات الرحمة في تعامله ﷺ مع المرأة في محيط الأسرة

كانت حياة الرسول الأسرية ترجماناً صادقاً لوصاياه، ولمنهج الإسلام في التعامل مع المرأة وللوقوف على تطبيقات هذه الرحمة تأتي المطالب التالية:

المطلب الأول

تطبيقات الرحمة في التعامل مع الأم

١. استئذانه ﷺ في الاستغفار لها وزيارة قبرها:

فقد فَجَعَ الموت رسول الله ﷺ بأمه[١] وهو صغير، فاستأذن ربه وهو نبيٌ مرسلٌ أن يزور قبرها فأذن له، فوقف عليه طويلاً، وبكى حتى انتحب[٢]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها، فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**»[٣].

٢. رحمته وبره ﷺ بفاطمة بنت أسد[٤] – رضي الله عنها –:

حين غَيَّبَ الموت عبد المطلب أخذ أبو طالب محمداً ﷺ وضمه لعياله، فلم يَنْسَ ﷺ معروف زوج أبي طالب –رضي الله عنها –، فكان يكرمها، ولما ماتت حزن عليها وكفنها في ثوبه، ونزل في قبرها، ودعا لها، وكان يخبر أنها كانت أرأف الناس به بعد أبي طالب[٥].

---

(١) آمنة بنت وهب: أبوها وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة ورفيع الشأن، وأمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، وهي أم سيد الخلق النبي محمد ﷺ، وكان عمره ٦ سنوات لما توفيت سنة ٥٧٧ للميلاد. انظر: السيرة النبوية في سير أعلام النبلاء(٢٣/ ١٢).

(٢) النحيب: رفع الصوت بالبكاء. انظر: لسان العرب(١٤/ ٢٠٧).

(٣) رواه مسلم برقم: ٩٧٦، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه.

(٤) فاطمة بنت أسد بن هاشم: أم علي بن أبي طالب، أسلمت وهاجرت إلى المدينة المنورة، وتوفيت في السنة ٤ للهجرة النبوية، ودفنت في مقبرة البقيع. انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ١١٨).

(٥) رواه الطبراني في الكبير(٢٤/ ٣٥١–٣٥٢) والأوسط(١/ ١٥٢–١٥٣) وقال الألباني في الضعيفة والموضوعة: ضعيف(١/ ٧٩).

٣. بره ﷺ بأمه من الرضاعة حليمة السعدية[١]:

فكان لا يغفل عن صلتها والدعاء لها، وحين زارته في المدينة فرح بها، وقام إليها وفرش لها رداءه؛ لتجلس عليه حدّث أبو الطفيل[٢] فقال: «رأيت النبي ﷺ وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه، فبسط لها رداءه فجلست عليه، فقلت: من هذه؟ قالوا: أمه التي أرضعته»[٣].

٤. رحمته وإحسانه ﷺ بمرضعته ثويبة:

كان ﷺ يبعث إلى ثويبة[٤] مولاة أبي لهب -وقد أرضعته- بِصِلَة وكسوة، فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها؟ فقيل: لا أحد، وكان ينوي صلتهم والإحسان إليهم براً بها.

٥. إحسانه إلى حاضنته أم أيمن - رضي الله عنها -:

كانت أم أيمن تلطف النبي ﷺ وتقوم عليه، فكان ﷺ يزورها ويحسن إليها ويقول: «**هذه بقية أهل بيتي**»[٥].

٦. الوصية بعموم الأمهات:

أوصى ﷺ سائر المسلمين بأمهاتهم، وأخبرهم أن يلزموا برها ورضاها، وأعلن أنها أحق الناس بحسن الصحبة ثلاث مرات. عن معاوية بن جاهمة -رضي الله عنهما- أن جاهمة[٦] جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت

---

(١) حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية مرضعة رسول الله ﷺ، من قبيلة بني سعد بن بكر، من بادية الحديبية بالقرب من مكة، توفيت بالمدينة المنورة، ودفنت بالبقيع . انظر: الإصابة(٧/ ٥٨٤).

(٢) عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الليثي من صغار الصحابة، توفي عام ١٠٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء(٣/ ٤٦٨).

(٣) رواه أبو داود برقم: ٥١٤٤، أبواب النوم، باب في بر الوالدين، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود(١١/ ١٤٤).

(٤) اختلف في إسلامها، وهي أوَّل من أرضع رسول الله ﷺ أيامًا بلبن ابن لها، يقال له: مسروح، قبل أن تقدم حليمة، وأرضعت قبله حمزة، وبعده أبا سلمة بن عبد الأسد، وكانت خديجة تكرمها وهي في ملك أبي لهب. انظر: أسد الغابة(١/ ١٣٢٣).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك مرسلاً(٤/ ٦٣)، وهو في سير أعلام النبلاء(٢/ ٢٢٥)، والطبقات الكبرى لابن سعد(٨/ ١٦٢).

(٦) جاهِمَة بن العباس بن مِرداس السلمي. نسبه ابن ماجه في السّنن. وذكره ابن سعد في طبقة =

أستشيرك فقال: «**هل لك من أم؟**» قال: نعم، قال: «**فالزمها فإن الجنة عند رجلها**»[1].

٧. زيادة حق الأم على حق الأب:

أوصى الله تعالى بالوالدين عامة، وبالأم خاصة، بذكر ما تختص به من الحمل والوهن والوضع والرضاعة، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾(الأحقاف :١٥).

٨. الوصية بصلة الأم ولو كانت كافرة:

روي عن أسماء بنت أبي بكر[2] -رضي الله عنها- قالت: قدمت أمي[3] وهي مشركة، فاستفتيت النبي ﷺ فقلت: إن أمي قدمت إلي، وهي راغبة[4] أفأصلها؟، قال ﷺ: «**نعم صلي أمك**»[5]. فالرسول العظيم، رسول الرحمة، يأمرها أن تصل أمها، وأن تقبل هديتها، كما جاء في بعض الروايات عن عبد الله بن الزبير، قال: «قدمت قتيلة بنت عبد العزى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر في الهدنة، -وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية- بهدايا زبيب وسمن، فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخلها بيتها، وأرسلت إلى عائشة: سلي رسول الله ﷺ، فقال: «**لتدخلها بيتها، ولتقبل هديتها**»[6]. ومع أن الأم مشركة لا تدين بالإسلام، إلا أن هذه هي أخلاق النبوة العظيمة التي تعترف بحق الأبوة مع اختلاف الدين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ

=مَنْ شهد الخندق، وقال: أسلم وصحب. انظر: أسد الغابة(١/١٦٧).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند برقم:١٤٩٨٩، وحسنه الألباني برقم: ٥٩٣ وقال: رواه النسائي(٢/٥٤)، وغيره كالطبراني(١/٢٢٥) وسنده حسن إن شاء الله، وصححه الحاكم(٤/١٥١)، ووافقه الذهبي، وأقره المنذري(٣/٢١٤).

(٢) سبقت الترجمة.

(٣) قُتَيْلَة بنت عبد العزَّى بن سعد، وقيل: قتيلة بنت سعد بن عامر القرشيَّة العامريَّة، اختلف في إسلامها، وهي امرأة أبي بكر الصديق، ووالدة أسماء بنت أبي بكر، وشقيقها عبد الله، وقال ابن حجر العسقلاني: «إن كانت عاشت إلى الفَتْح فالظَّاهر، أنها أسلمت. انظر أسد الغابة(٦/٢٣٩).

(٤) قيل المراد: راغبة عن الإسلام، أي معرضة عنه. ولكنه خلاف الظاهر، وقيل: راغبة: يعني ترغب في الصلة، ولهذا سألت، قالت: أفأصل أمي؟ قال: «**نعم، صلي أمك**». انظر: فتح الباري(٣/١٦٣).

(٥) رواه البخاري برقم: ٢٤٧٧. كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهدية للمشركين، ومسلم برقم: ١٠٠٣ كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد، والوالدين ولو كانوا مشركين.

(٦) المرجع السابق.

سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾(لقمان: ١٥).

المطلب الثاني

تطبيقات الرحمة في التعامل مع الزوجة

كان ﷺ زوجاً كريماً استطاع رغم تعدد زوجاته أن يجعل كل واحدةٍ منهن تشعر بحبه ورحمته كما لو كانت الوحيدة.

ومن تطبيقات الرحمة في تعامله مع زوجاته – رضي الله عنهن – :

١. الوفاء لذكرى الزوجة الراحلة:

فكان ﷺ يملك من الوفاء أصدق المعاني، فحين ماتت خديجة[١] أُولى زوجاته كان يذكرها ويصل صاحباتها ويكرمهن، حتى غارت منها عائشة –رضي الله عنها– وقالت: ما غِرْت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ لها[٢]، وحين زارته أختها هالة[٣] في المدينة ذات يوم، وسمع صوتها تسلم عند بابه، قام إليها وهو يقول: «**اللهم هالة، اللهم هالة**»[٤]. وكان يذبح الشاة ويهديها لصديقاتها وفاءً لها وحباً لمن تحب. عن أنس ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا أُتي بهدية، قال: «**اذهبوا بها إلى بيت فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحب خديجة**»[٥].

واستأذنت عليه امرأة[٦] فأقبل عليها، فلما خرجت، قال: «**إنها كانت تأتينا أيام**

---

(١) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشية الأسدية: أم المؤمنين، وأول زوجاته ﷺ وأول من أسلم من النساء، صاحبة المناقب وأم أولاده ﷺ عدا إبراهيم، توفيت بمكة. انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ١١٠).

(٢) رواه البخاري برقم: ٣٦١٨، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، ورواه مسلم برقم: ٢٤٣٥، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل خديجة أم المؤمنين.

(٣) هالة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزي القرشية الأسدية: أخت خديجة زوج النبي ﷺ، ووالدة أبي العاص بن الربيع. انظر: الإصابة(٨/ ١٦٤٩).

(٤) رواه البخاري برقم: ٣٦١٠ كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، ومسلم برقم: ٣٨٢١، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل خديجة أم المؤمنين.

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم: ٢٣٢، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص١٧٢.

(٦) هي حسانة المزنية كان اسمها جثامة، فغيره النبي ﷺ إلى حسانة. انظر: الإصابة(٧/ ٥٨٠).

خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»[1].

٢. الرحمة بالضعيفة من نسائه في حُجّتها والقصاص لها:

كان ﷺ رحيماً بنسائه، وحين تشعر إحداهن بالغربة والضيق يخفف عنها ويواسيها فلقد عاشت صفية –رضي الله عنها– مكرمةً في بيت النبوة، وكان ﷺ يلقنها الحُجَج فيما يقع بينها وبين نسائه مما يكون بيت الضرائر. عن أنس ﷺ قال: بلغ صفية أن حفصة[2] قالت: بنت يهودي فبكت، فدخل عليها ﷺ وهي تبكي فقال: «**ما يبكيك؟**»، قالت: قالت لي حفصة أني بنت يهودي، فقال النبي ﷺ: «**وإنك لابنة نبي وإن عمَّك لنبي**[3] **وإنك لتحت نبي ففيم تفخر عليك؟**»، ثم قال: «**اتقي الله يا حفصة**»[4]. وهَجَر زينب بنت جحش –رضي الله عنها– ثلاثة أشهرٍ لأنها عَيَّرت صفية باليهودية.[5]

٣. مواساة مصاب الزوجة:

كان ﷺ يمسح دموع زوجته بيده ويواسيها. فلما حجّ بنسائه[6] وكان في بعض الطريق، نزل رجل فَسَاق بهن فأسرع؛ فبينما هم يسيرون برك لصفية بنت حيي جملُها وكانت من أحسنهن ظهراً فبكت، وجاء رسول الله ﷺ حين أُخبر بذلك فجعل يمسح دموعها بيده وجعلت تزداد بكاء وهو ينهاها[7].

وقد عثرت ناقته ذات يوم وهو وزوجته صفية فطُرِحا أرضاً، فلحق بهما أبو طلحة [8]ﷺ فأمره النبي ﷺ أن يساعد صفية أولاً. فعن أنس بن مالك أنه أقبل هو وأبو طلحة مع النبي ﷺ ومع النبي ﷺ صفية يردفها، فلما كانوا ببعض الطريق عثرت

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم: ٢١٦. وصححه الألباني في الصحيحة(١/ ٣٧٦).

(٢) حفصة: بنت عمر بن الخطاب، تزوجها ﷺ بعد عائشة، ماتت عام ٢٧هـ. انظر: الإصابة(٧/ ٥٨٢).

(٣) ذلك أنها من ذرية هارون بن عمران، أخي موسى – عليه السلام –، كما سبق في ترجمتها.

(٤) رواه الترمذي برقم: ٣٨٩٤، كتاب المناقب، باب في فضل أزواج النبي ﷺ، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي(٨/ ٣٩٤).

(٥) القصة رواها الإمام أحمد في المسند برقم: ٢٦٣٢٥، وأخرجها الهيثمي في مجمع الزوائد(٢/ ٢٢٠).

(٦) حجّ النبي ﷺ حجة واحدة، وكان ذلك في السنة التاسعة للهجرة.

(٧) رواه الإمام أحمد في المسند برقم: ٢٦٣٢٥، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد(٢/ ٢٢٠).

(٨) اسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد الخزرجي النجاري، له مناقب كثيرة، توفي زمن عثمان ﷺ بالمدينة. انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٢٧).

الناقة فَصُرِع[1] النبي ﷺ والمرأة، وأن أبا طلحة قال: أحسب اقتحم عن بعيره، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله، جعلني الله فداك هل أصابك من شيء؟ قال: «**لا ولكن عليك بالمرأة**». فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه، فقصد قَصْدَها فألقى ثوبه عليها، فقامت المرأة فشدّ لهما على راحلتهما، فركبا فساروا حتى إذا كانوا بظهر المدينة – أو قال أشرفوا على المدينة – قال النبي ﷺ: «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**»، فلم يزل يقولها حتى دخل المدينة[2]. فقدّمها ﷺ على نفسه في النظر إلى حاجتها رحمةً بها. وحين أرادت يوماً أن تركب الجمل وكان رفيعاً على قامتها جلس لها ﷺ ليجعل من ركبته سُلّماً لها لتصعد إليه أمام باقي النساء ليجنبها الإحراج، حيث كانت إحداهن وصفتها بالقصيرة[3] فعاتبها ﷺ بقوله: «**لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجت**[4] **بماء البحر لمزجته**»[5] فعن أنس قال: «خرجنا إلى المدينة قادمين من خيبر فرأيت النبي ﷺ يجلس عند بعيره، فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبتيه حتى تركب»[6].

٤. الرحمة باحتمال الغيرة:

كان ﷺ يقدّر لهن مشاعر الغضب فيفسح لهن المجال ليخاصِمْنَه و يُراجِعْنَه في الكلام، وكان يحتمل غيرتهن ولا يلومهن مراعاةً لفطرة المرأة. وقد كان ذات يوم عند إحداهن، فأرسلت أخرى بقصعةٍ فيها طعام فضربت زوجته يد الجارية، فسقطت القصعة فانكسرت، فأخذ النبي ﷺ القطعتين فضم إحداهما إلى الأخرى، فجعل يجمع الطعام ويقول: «**غارت أمكم**»، ثم أمر التي في بيتها حتى جاءت بقصعتها، فدفع

---

(١) أي: سقط.

(٢) رواه البخاري برقم: ٥٨٣١، كتاب الأدب، باب قول الرجل: جعلني الله فداك، ورواه مسلم برقم: ١٣٤٥، كتاب الحج، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره.

(٣) عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: « قلت: يا رسول الله، إن صفية امرأة، وقالت بيدها هكذا، كأنها تعني قصيرة، فقال: «لقد مزجت بكلمة لو مزجت بها ماء البحر لمزج»، وسيأتي تخريجه.

(٤) أي: لو خلطت بماء البحر لغيّرته وأنتنته.

(٥) من نتنها وفسادها والحديث رواه أبو داود برقم: ٤٢٣٢ وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود(١٠/ ٣٧٥).

(٦) رواه البخاري برقم: ٢١٢٠، كتاب البيوع، باب هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها. ومسلم برقم: ١٣٦٥، كتاب النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمته، ثم يتزوجها.

القصعة الصحيحة إلى الجارية، وترك المكسورة في بيت التي كسرتها[1]. فلم يزجرها، ولكن أرشدها إلى الإنصاف.

٥. الرحمة بالصبر على غضب الزوجة ومراجعتها في الكلام:

خاصمَته عائشة –رضي الله عنها– في شيء فسمعها الصديق وأغضبه أن ترفع صوتها على رسول الله ﷺ فأقبل ينهرها فاحتمت منه بظهره ﷺ. عن النعمان ابن بشير[2] ﷺ قال: جاء أبو بكر يستأذن على النبي ﷺ، فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على رسول الله ﷺ فأذن له، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال: لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ ؟! فجعل النبي ﷺ يحجزه وخرج أبو بكر مغضباً، فقال النبيﷺ حين خرج أبو بكر: كيف رأيتني أنقذتك من الرجل؟ قال: فمكث أبو بكر أياماً ثم استأذن على رسول الله ﷺ، فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما، فقال النبي ﷺ: «**قد فعلنا، قد فعلنا**»[3].

٦. الرحمة بإعلان رفضه لسلوك الأزواج السيئ:

فكان ﷺ مثالاً رائعاً لحب الزوج وإخلاصه، وحين سئل عن أحب الناس إليه لم يكن ليتردد لينطق باسم عائشة –رضي الله عنها–[4]، في حين تسلَّط كثيرٌ من الأزواج في ذلك الزمن على زوجاتهم حتى طاف ببيت رسول الله ﷺ سبعون امرأة[5] تشتكي

---

(١) رواه البخاري برقم: ٢٣٤٩، كتاب المظالم، باب إذا كسر قصعة أو شيئاً لغيره.

(٢) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة: الأمير العالم، ابن أخت عبدالله بن رواحة رضي الله عنهما، من صغار الصحابة ولد عام الهجرة وتوفي عام٦٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء(٣/ ٤١٢).

(٣) رواه أبو داود برقم: ٤٩٩٩، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح وصححه الألباني في الصحيحة برقم: ٢٩٠١(٦/ ٩٤٤).

(٤) روى البخاري برقم: ٣٤٦٢ كتاب الفضائل، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا، عن عمرو ابن العاص أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك قال: «**عائشة**»، فقلت: من الرجال؟ فقال: «**أبوها**»، قلت: ثم من؟ قال: «**ثم عمر بن الخطاب**»، فعد رجالا» كتاب الفضائل، باب فضل عائشة – رضي الله عنها –.

(٥) روى أبو داود برقم: ٢١٤٦، كتاب النكاح، باب في ضرب النساء، حَديث: «**لا تَضْرِبُوا إِمَاء اللَّه**» قال: فَجَاءَ عُمَر، فَقَالَ: قَدْ ذَئِرَ النِّسَاء عَلَى أَزْوَاجهنَّ، فَأَذِنَ لَهُمْ فَضَرَبُوهُنَّ فَأَطَافَ بِآلِ رَسُول اللَّه ﷺ نسَاء كَثِير، فَقَالَ ﷺ: «**لَقَدْ أَطَافَ بِآلِ رَسُول اللَّه ﷺ سَبْعُونَ امْرَأَة كُلّهنَّ يَشْكونَ أَزْوَاجهنَّ وَلا تَجِدُونَ أُولَئِكَ خِيَارِكُمْ**»

زوجها فخرج للناس وعاتبهم بقوله: «**أولئك ليسوا بخياركم**»[1].

٧. الرحمة بمداعبة الزوجة واستطابة ريقها:

وحين عمرت الرحمة قلبه ﷺ جعلته يستطيب الطعام من فم إحداهن، ويشتهي ريقها، فيأخذ العظم منها، فيضع فمه على موضع فمها ويأكل، عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: «كنت أشرب وأنا حائض ثم يأخذ النبي ﷺ فيضع فمه على المكان الذي شربت منه وكنت أتعرق[2] فيأخذه ﷺ فيضع فمه على ذلك المكان»[3]. ولا يحرمهن ﷺ من قبلاته حتى وهو صائم، كما ثبت عن عائشة –رضي الله عنها– «أنه كان يقبّل وهو صائم»[4].

وكان يداعب إحداهن حين يغتسل معها من إناءٍ واحد وينازعها الماء، عن عائشة قالت: «كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد من قدح يقال له الفرق»[5]. وفي رواية فكنت أقول:(دع لي دع لي)[6]. وقد سابقها ذات يومٍ في الصحراء ففرحت بسبقها له وانتصارها عليه، حتى إذا جاء عامٌ آخر وتغيّر وزنها وثقلت، سابقها ليسجل انتصاره عليها ويعلن أن «**هذه بتلك**». عن عائشة –رضي الله عنها– أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفرٍ وهي جارية، فقال لأصحابه تقدموا ثم قال: «**تعالي أسابقك**». فسابقته فسَبقته على رجلي، فلما كان بعدُ خرجت معه في سفر، فقال لأصحابه تقدَّموا ثم قال: «**تعالي أسابقك**»، ونسيت الذي كان، وقد حملتُ اللحم، فقلت: كيف

---

(١) رواه أبو داود برقم: ٢١٤٦، كتاب النكاح، باب في ضرب النساء، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود(٥/ ١٤٦)

(٢) أتعرّق من (العرق): بفتح العين وسكون الراء أي: آخذ اللحم من العرق بأسناني، وهو عظم أخذ معظم اللحم منه وبقيت عليه بقية، والمراد هنا العظم الذي عليه اللحم. انظر: مرقاة المفاتيح (٢/ ٢٣٠).

(٣) رواه مسلم برقم: ٣٠٠، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، وطهارة سؤرها، والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه.

(٤) رواه البخاري برقم: ١٩٢٧، كتاب الصوم، باب القبلة للصائم، ورواه مسلم برقم: ١١٠٦، كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته.

(٥) رواه البخاري برقم: ٢٤٧، كتاب الغسل، باب غسل الرجل مع امرأته.

(٦) رواه مسلم برقم: ٤٨٥، كتاب الحيض، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة، وغسل أحدهما بفضل الآخر.

أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟. فقال: «**لتفعلن**». فسابقته فسبقني فقال: «**هذه بتلك السبقة**»[1].

٨. الرحمة باستئذانهن لترك الفراش:

فلم يكن ﷺ يقوم من فراش إحداهن ليصلي من الليل إلا بعد أن يستأذنها، كما قال لعائشة -رضي الله عنها-: «**ذريني أتعبّد الليلة لربي**»[2].

٩. الرحمة بتفقدهن كل يوم:

فلم يكن ﷺ يغيب عنهن أياماً إلا في سفر، وكان يُقْرِعُ[3] بينهن فيصطحب من تخرج لها القرعة، وقد كان يمرُّ عليهن كل يوم، ويجلس مع كل واحدةٍ منهن ويتلمس حاجتها ويتحدث معها، حتى إذا كان المبيت ذهب إلى التي هي ليلتها.

١٠. الرحمة بمشاركتهن أعباء المنزل:

فحين يكون ﷺ في بيته يكون في حاجته، فيعمل من أعمال المنزل ويعينهن، كما وصفته عائشة -رضي الله عنها- : «كان في مهنة أهله»[4].

١١. الرحمة بأولاد زوجاته الأيتام:

وحين تزوج ﷺبأرملة ذاتَ ولدٍ، ضمّ أولادها إليه ورباهم كأولاده، وهما(عمر وزينب) ابني أم سلمة[5] -رضي الله عنها-، فالرحمة هي ما دفعته أن يضم عروسه بأبنائها ويربيهم لها.

---

(١) رواه أبو داود برقم: ٢٥٧٨، كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود(٦/ ٧٨).

(٢) رواه ابن حبان برقم: ٦٢٦، كتاب الرقاق، باب التوبة، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(٢/ ٨٨).

(٣) القرعة: هي الطريقة التي يتمكن بها من فض النزاع عند تساوي الحقوق، فمن ظهر اسمه بالاقتراع استحق ذلك المتنازع فيه. انظر: تحقيق الصنعة في بيان أحكام القرعة،صالح بن محمد الفهد المزيد.

(٤) رواه البخاري برقم:٥٦٩٢، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله.

(٥) هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومية: من المهاجرات الأول، بنت عم خالد بن الوليد -رضي الله عنهما-، وزوجها أبو سلمة: هو أخ النبي ﷺ من الرضاعة، آخر من مات من أمهات المؤمنين. انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٢٠٢).

١٢. الرحمة في الأزمات والتثبت وترك الظنون:

لم يكن ﷺ لفرط رحمته يأخذ بالظنون ولا يتلمّس العثرات وكان ينهى أصحابه أن يدخلوا على زوجاتهم بلا استئذانٍ، أو يطرقوهن ليلاً حتى يعلمن ويكُنَّ مستعدات لاستقبالهم، فعن جابر رضي الله عنه قال: « نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً، أن يتخونهم أو يلتمس عثراتهم»[١]. وحين أشيع الإفك في عائشة –رضي الله عنها– لم يأخذها بالغيرة ولم يخرجها من بيته، فسألته الذهاب لأبويها حين أصابتها الحمى،فكان يزورها حتى أنزل الله براءتها فبشرها وأقام الحدَّ على من قذفها[٢].

١٣. الرحمة بقراءة مشاعرهن من غير كلام:

فكان ﷺ يفهمهن من غير كلام، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم إذا كُنْتِ عني راضية، وإذا كنت عليَّ غضبى**»، قلت: بم تعلم يا رسول الله؟ قال: «**إذا كنتِ عليّ غضبى، فحلفتِ قلت: كلا ورب إبراهيم، وإذا كنتِ عني راضية، قلت: كلا ورب محمد**»، قلت: صدقت يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك[٣].

---

(١) رواه البخاري برقم:٤٨٤٣، كتاب النكاح، باب لا يطرق أهله ليلا إذا أطال الغيبة؛ مخافة أن يخونهم أو يلتمس عثراتهم. ورواه مسلم برقم: ٣٥٥٨، كتاب الإمارة، باب كراهة الطروق، وهو الدخول ليلا لمن ورد من سفر

(٢) القصة بتمامها عند البخاري برقم: ٣٩١٠، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، وعند مسلم برقم:٢٧٧٠، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف.

(٣) رواه البخاري برقم:٤٩٣٠، كتب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن،ورواه مسلم برقم: ٢٤٣٩، كتاب فضائل الصحابة، بابٌ في فضل عائشة – رضي الله عنها –.

المطلب الثالث

تطبيقات الرحمة في التعامل مع البنات

كان ﷺ أرحم الخلق ببناته، وضرب أروع الأمثلة بصدق حبه لبُنَيَّاته ورحمته بهن، ومن تطبيقات هذه الرحمة من سيرته ﷺ ما يلي:

١. الرحمة بحل المشكلات الزوجية للبنات:

فقد تزوجت ابنته الكبرى زينب[١] -رضي الله عنها- بأبي العاص بن الربيع[٢]، وقد كان فاضلاً عاقلاً لكنها أسلمت قبله. وحين أذن الله لنبيه بالهجرة لم يأذن لها أهل زوجها بالخروج وبقيت في مكة. وحين انتصر المسلمون في غزوة بدر وأخذوا أسرى قريش كان زوجها فيمن أُسر، فلما اختار لهم رسول الله ﷺ الفداء، أرسلت زينب بعقدٍ لها تفديه به، فلما رآه ﷺ حزن واستعبر وفاضت عيناه، ورقّ لها رقّةً شديدة، فقد كان ذلك العقد هو هدية أمها خديجة لها يوم زفافها! وقد أشفق عليها الأب الرحيم أن بذلت أغلى ما لديها لفداء زوجها وأب ابنتها أمامة[٣]، فقال ﷺ: «**إن رأيتم أن تردوا لها مالها وتفكوا أسيرها فذاك**». فلم يكن من الصحابة إلا أن فعلوا ما يرضي رسول الله ﷺ بعد أن قالوا: نعم وكرامة عين يا رسول الله. ورجع أبو العاص بعد بدر إلى مكة فنفذ شرط رسول الله ﷺ بأن يخلي سبيل زينب، فجهزها لتخرج فسارت زينب -رضي الله عنها- في طريقها للهجرة وكانت حاملاً في شهورها الأولى، فعلم أشقياء من قريش بخروجها فعزموا أن يؤذوها فخرجوا يتبعون الناقة حتى إذا حاذوها

---

(١) كبرى بنات النبي ﷺ، ولدت قبل البعثة بعشر سنوات، وتزوجت من ابن خالتها أبي العاص بن الربيع، فأنجبت له علياً وأمامة، ومات علي وهو صغير، وبقيت أمامة، وتوفيت في حياة النبي ﷺ. انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٢٤٦).

(٢) أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي: صهر الرسول ﷺ، زوج ابنته زينب، وأمه هالة بنت خويلد، أسلم قبل الحديبية، وكان قد أسر يوم بدر، ففدته بقلادتها رضي الله عنها، فأطلقه النبي ﷺ لها وردّ لها قلادتها. انظر: سير أعلام النبلاء(١/ ٣٣١).

(٣) أمامة بنت أبي العاص بن الربيع القرشية: بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، كان يحبها ويحملها في الصلاة، وتزوَّجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة، ثمَّ تزوَّجها بعده المغيرة بن نوفل، وتوفِّيت في خلافة معاوية بن أبي سفيان. انظر: سير أعلام النبلاء(١/ ٣٣٥).

نخسها أشقاهم فنفرت، وأطاحت ببنت رسول الله ﷺ فأصابها نزفٌ من الدم وهي حامل، وما زالت معتلةً حتى قدمت المدينة، ثم إن أبا العاص خرج تاجراً إلى الشام، وعند رجوعه اعترضته سرية من سرايا المسلمين فأخذت ما معه من المال من باب القصاص؛ لأن قريشاً أخذت أموال المسلمين ودورهم بعد الهجرة بلا عوض، فهرب منهم واختبأ وأعجزهم، ووصل المدينة ليلاً. فما كان منه إلا أن تسلَّل إلى زوجته زينب وأخبرها برغبته في الإسلام فقامت -رضي الله عنها- بعد أن خافت أن يؤذيه أحد من المسلمين فخرجت إلى المسجد والناس في صلاة الصبح ورسول الله ﷺ لا يعلم من أمرهما شيء، فنادت بصوت عالٍ: إني أجرت أبا العاص بن الربيع، فلا يقربنه منكم أحد. فأمضى لها المسلمون إجارتها، لكن رسول الله ﷺ أمرها أن لا يقربها حتى يسلم ويعقد لهما من جديد، فعاد الشاب إلى مكة لأداء الأموال التي كانت لقريش عنده، ثم أعلن إسلامه وهاجر لجمع شمله بزوجته في المدينة، لكن المرض لم يمهلهما كثيراً حتى ماتت -رضي الله عنها- بعد هجرتها بعامين، تاركةً وراءها زوجاً أحبته وجاهدت لتعود إليه، وطفلة صغيرة كان ﷺ يحبها ويرحمها ويحملها في صلاته[1]، وقد حزن ﷺ لموتها حزناً شديداً وجلس عند باب الحجرة وهي تُغَسَّل، ثم دفنها وجلس على حافة القبر يبكي ويدعو لها. وقد آلمه ﷺ ما أوذيت به في سبيل الله ولم ينس ذلك الرجل[2] الذي تجرأ على امرأةٍ ضعيفةٍ؛ لأنها أرادت اللحاق بأبيها وأخواتها، فأهدر ﷺ دمه يوم فتح مكة ولم يشمله العفو عن المشركين، فأراد علي ﷺ قتله يوم الفتح[3]. فهرب، فلم تدركه السرية، وأدركه الإسلام فأسلم.

---

(١) روى البخاري برقم: ٤٩٤ كتاب الصلاة، أبواب سترة المصلي، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة: أن النبي ﷺ «كان يصلي وهو يحمل أمامة بنت زينب -رضي الله عنها- على عاتقه، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها».

(٢) هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي، كان النبي ﷺ قد أهدر دمه قبل إسلامه؛ وذلك لترويعه ابنته زينب حين هاجرت إلى المدينة، فلما كان عام الفتح هرب إلى الجعرانة قرب مكة فأسلم ورحل إلى الشام أيام الفتوح، وعاد في خلافة عمر بن الخطاب. انظر: الإصابة(٦/ ٤١١).

(٣) القصة بتمامها عند الذهبي في سير أعلام النبلاء(١/ ٣٣٠).

وقد تزوجت ابنته فاطمة –رضي الله عنها– من علي بن أبي طالب، ابن عم النبي ﷺ وقد دخل عليها النبي ﷺ ذات يوم فرأى في وجهها تغيراً فعلم بفطرة الأب أنها حزينة، فقال: «**أين علي؟**»(وكأنه أحس بما بينهما)، فقالت: غاضَبني في شيء فخرج. فخرج رسول الله ﷺ يبحث عنه، فوجده في المسجد قد نام على فراش من حصير، وقد قلبته الريح على ظهره،ونثرت عليه التراب، فقام رسول الله ﷺ يمسح التراب عن ظهره ويراضيه. فعن سهل بن سعد[1] قال: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب، وإن كان ليفرح به إذا دعي به، جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة – رضي الله عنها – فلم يجد علياً في البيت فقال: «**أين ابن عمك؟**» فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني، فخرج فلم يَقِل عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «**انظر: أين هو؟**»، فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه وهو يقول: «**قم أبا تراب، قم أبا تراب**»[2]. وذلك لما أصابه من التراب في ظهره ﷺ، وهي كنية ملاطفة صارت أحب كنى أبي الحسن ﷺ إليه. قال سهل بن سعد ﷺ :« ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي التراب، وإن كان ليفرح إذا دعي بها»[3]

وحين أراد علي ﷺ أن يتزوج بامرأة من قريش هي ابنة أبي جهل[4]، شقّ ذلك على رسول الله ﷺ؛ ليس لأنه سيتزوج على ابنته فقد تزوج رسول الله ﷺ بأكثر من امرأة، لكنه حزناً على أن تكون شريكة ابنته في زوجها هي ابنة عدو الله الذي كان يفجعها بأبيها ويؤذيه أمام ناظريها، فلم ينس رسول الله ﷺ كيف كان أبو جهل يضحك حتى

---

(١) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة: الإمام، الفاضل، المعمر بقية أصحاب رسول الله ﷺ كان أبوه من الصحابة الذين توفوا في حياة النبي ﷺ، مات وهو فوق المائة. انظر: سير أعلام النبلاء(٣/٤٢٣).

(٢) رواه البخاري برقم: ٥٩٤٢، كتاب الاستئذان، باب القائلة في المسجد، ورواه مسلم برقم: ٢٤٠٩، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم برقم: ٢٤٨٩، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب.

(٤) جميلة، وقيل: جُوَيْرِيَة، وقيل: العَوْراء بنت أبي جهل بن هشام المخزومية. انظر: أسد الغابة(١/١٣٢٧).

يستلقي على قفاه، وفاطمة تبعد الأذى عن ظهره بيديها[1]؛ ولهذا كان موقف رسول الله ﷺ من رغبة علي ﷺ هذه موقفاً شديداً؛ فقد رفض هذا الأمر علانية وقال: «**كلا والله، لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبدا**». ولئن كان الإسلام لا يؤاخذ أحداً بجريرة أحد؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(الأنعام: ١٦٤)، فإنه أيضاً لا يهمل المشاعر والعواطف التي بها قوام الحياة الزوجية السعيدة؛ ولهذا علَّل النبي ﷺ هذا الرفض بصريح قوله: «**إن فاطمة قطعة مني، يريبني ما أرابها،ويؤذيني ما يؤذيها**»[2]. فقد كانت رحمته بها ﷺ وراء هذا الرفض، وفقدت من حولها من أم وأخوات فهل تفجع بالزوج؟

٢. الرحمة بالعناية بالبنات وقت المرض وتمريضهن:

وقد ظهر ذلك في رحمته ﷺ برقية[3] -رضي الله عنها - وكان ﷺ زَوَّجَها من عثمان[4] ﷺ وحين أراد الخروج لبدرٍ كانت مريضة، فأمره أن يبقى عندها ليمرّضها

---

(١) عند البخاري برقم:٩٨٤، كتاب الصلاة، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى: «بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة وجمع قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به، ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه، فانبعث أشقاهم، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجدا، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة - رضي الله عنها - وهي جويرية، فأقبلت تسعى وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال: «**اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد**»، قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر».

(٢) رواه البخاري برقم: ٣٥٢٣، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر أصهار النبي ﷺ منهم أبو العاص بن الربيع.

(٣) بنت رسول الله ﷺ وزوج عثمان وأم ابنه عبد الله، هاجر بها إلى الحبشة، بايعت رسولَ الله ﷺ هي وأخواتها، وتزوجها عتبه بن أبي لهب قبل النبوة، توفيت في حياة النبي ﷺ. انظر: الإصابة(٨/ ١٣٨).

(٤) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي الأُموي، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس، أسلمت، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، أمير المؤمنين، وصهر رسول الله ﷺ على ابنتيه رقية ثم أم كلثوم، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. انظر: الإصابة(٢/ ٣٤٩).

رحمة بها[1]، فما لبثت أن توفيت، فزوّجه بأختها أم كلثوم[2] – رضي الله عنها –؛ لأنه كان ﷺ غاية في الرحمة والرقة لنسائه.

٣. الرحمة بتهدئة خوفهن وتفقد أحوالهن:

كانت بناته ﷺ قريباتٍ إليه وكان حين يؤذيه المشركون بمكة تبكي إحداهن فيرحمها ﷺ وينهاها عن البكاء، ويذكرها بوعد الله تعالى له بالنصرة والحماية والتأييد[3]. وكانت فاطمة –رضي الله عنها– تعلم أن قريشاً تنال من أبيها ويشق ذلك عليها. وحين كان ﷺ يصلي عند الكعبة أمام جماعة من قريشٍ عزموا أن يؤذوه فأمروا واحداً منهم أن يأتي بقاذوراتٍ من آثار نحر الإبل ويضعها على ظهره وهو ساجد، فلما فعلوا ذلك أخذوا يضحكون حتى استلقى أبو جهلٍ[4] على قفاه فلم يرفع رسول الله ﷺ رأسه لهم، وجاءت فاطمة – وهي جويرية – تسعى فأخذت تبعد الأذى عن ظهره ﷺ وهو ساجد، وأقبلت عليهم تسبهم وتشتمهم. ولقد كان ﷺ يشفق عليها ويرحمها رحمةً شديدةً وكان يتعاهدها بعد زواجها ويعلم شدة حاجتها له بعد أن فجعت بأمها ثم بأخواتها الثلاث. وحين أجهدها العمل في شؤون البيت جاءت إلى أبيها تستعينه بخادم فلم تجده، فلما رجع وأخبروه بمجيئها لم ينتظر ﷺ عودتها إليه مرة أخرى فخرج الوالد الرحيم إلى بيتها ليطمئن إلى حاجتها حتى استأذن عليهما ليلاً وقد أخذا مكانهما من فراش النوم. عن علي بن أبي طالب قال: شكت إلي فاطمة

---

(١) روى البخاري برقم: ٣١٣٠، في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ عن ابن عمر قال: إنما تغيب عثمان عن بدرٍ فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له ﷺ: «**إن لك أجر رجلٍ ممن شهد بدراً وسهمه**».

(٢) بنت رسول الله ﷺ وزوج عثمان ﷺ بعد أختها رقية، وتوفيت عنده ولم تلد له. انظر: الإصابة(٨/ ٤٦٠).

(٣) عن عروة بن الزبير قال: لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله ﷺ ذلك التراب، دخل رسول الله ﷺ بيته، والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: «**لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك**». انظر: السيرة النبوية لابن هشام(١/ ٤١٧).

(٤) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، يكنى بأبي الحكم، من سادة قريش وأشدهم عداوة للنبي ﷺ، قتل يوم بدر وهو من أصحاب القليب. انظر: البداية والنهاية(٣/ ٢٥١).

مجل يديها[1] من الطحين، فقلت: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً، فأتت النبي فلم تصادفه فرجعت. فلما جاء أُخْبِر فأتانا وقد أخذنا مضاجعنا وعلينا قطيفة إذا لبسناها طولاً خرجت منها جنوبنا وإذا لبسناها عرضاً خرجت رؤوسنا أو أقدامنا، فقال: «**يا فاطمة أُخْبِرتُ أنكِ جئتِ فهل كان لكِ حاجة؟**»، قلت: بلى، شكت إليّ مجل يديها من الطحين، فقلت: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً. قال: «**أفلا أدلكما على خير لكما من الخادم؟، إذا أخذتما مضاجعكما فقولا ثلاثاً وثلاثين وأربعاً وثلاثين من تحميد وتسبيح وتكبير**»[2].

وقد حملته الرحمة بها أن يخبرها بقرب رحيله من الدنيا، وأن يهون عليها حين يبشرها أنها أول أهله لحوقاً به، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**مرحباً بابنتي**»، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثا فبكت. فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثا فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن! فسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى قبض النبي ﷺ فسألتها، فقالت: أسرَّ إلي إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي فبكيت فقال: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين**» فضحكت لذلك[3]، فلقد كان يحمل همّ حزنها وعظيم فقدها فآثر أن يخبرها ويبشرها وكم هي فرحتها التي جعلتها تضحك من بعد البكاء، والمتأمل للطفه ببناته ﷺ يدرك مقدار الرحمة التي كانت تسكن قلبه ﷺ كأعظم البشر.

٤. الرحمة بتقديرهن وتقبيلهن والقيام لهن:

فلم يكن ﷺ يملك نفسه إذا رأى بناته أن يقوم لإحداهن ويقبلها بين عينيها ويجلسها مكانه. عن عائشة قالت: «ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله ﷺ، وكانت إذا دخلت عليه رحّب بها وقام إليها، فأخذ بيدها فقبّلها

---

(١) بفتح الميم وسكون الجيم، معناه التقطيع، وقيل الخشونة. انظر: فتح الباري(١٤/ ٣١٥).
(٢) رواه البخاري برقم: ٦٣١٨، كتاب الدعوات، باب التكبير والتسبيح عند المنام(٥/ ٢٠٥١).
(٣) رواه البخاري برقم: ٣٤٢٦، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

وأجلسها في مجلسه»[1]، وفي رواية «وكانت هي إذا دخل عليها رسول الله ﷺ قامت إليه مستقبلاً وقبّلت يده»[2]، وذكرت عائشة -رضي الله عنها- أنه كان يرحب بفاطمة إذا أقبلت بقوله: «**مرحباً بابنتي**»، ثم يجلسها عن يمينه أو عن شماله[3]، وكان يناديها ﷺ: بأمِّ أبيها لشبهها به ﷺ[4].

٥. الرحمة عند الدفن:

حزن النبي ﷺ لوفاة بناته وحين ماتت أم كلثوم -رضي الله عنها- جلس على قبرها يغالب عبراته ﷺ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «شَهِدْنَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ عَلَى القَبْرِ، فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ، فَقَالَ: «**هَلْ فِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ لَمْ يُقَارِفِ**[5] **اللَّيْلَةَ**؟» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا قَالَ: فَانْزِلْ فِي قَبْرِهَا، فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا فَقَبَرَهَا»[6]، وقد توفيت قبلها زينب -رضي الله عنها- سنة ثمان من الهجرة فغسلتها أم عطية [7]-رضي الله عنها- ونساء معها فأعطاهن النبي ﷺ حقوه، وقال: «**أشعرنها إياه**»[8].

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم: ٩٤١(١/ ٥١٩)، ورواه الترمذي برقم:٣٨٧٢، كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة بنت محمد ﷺ. ورواه أبو داود برقم: ٧١٢٥، كتاب أبواب النوم، باب ما جاء في القيام. وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد: ٣٥٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين(٣/ ١٥٤، ١٦٠)، ورواه ابن حبان في موارد الظمآن ص.٥٤٩

(٣) رواه البخاري برقم: ٣٤٢٦، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

(٤) انظر: أسد الغابة(٥/ ٥٢٠).

(٥) يقارف: أي يجامع أهله. انظر: فتح الباري(٣/ ١٥٩).

(٦) رواه البخاري برقم: ١٢٢٥، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ :« **يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته**».

(٧) نسيبة بنت الحارث، وقيل: نسيبة بنت كعب: من فقهاء الصحابة، لها عدة أحاديث.انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٣١٨).

(٨) رواه البخاري برقم: ١٢٠٢، كتاب الجنائز، باب كيف الإشعار للميت.

المطلب الرابع

تطبيقات الرحمة في التعامل مع الأخوات

الأخوات من أولى الناس بالصلة بعد الآباء والأمهات، وقد كان ﷺ يرحم الأخوات، وله في ذلك تطبيقات وردت في السنة، كما يلي:

١. التذكير بفضل رعاية الأخوات:

كان ﷺ يأمر بالإحسان إلى الأخوات، وأخبر بعظيم الأجر في ذلك، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من عال ابنتين أو ثلاث بنات، أو أختين أو ثلاث أخوات حتى يمتن أو يموت عنهن كنت أنا وهو كهاتين**»، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى[١].

٢. تحري الأخوات بالهدية والصلة:

أهدى ﷺ للصحابة ذات يوم شيئاً فقسّمه بينهم، وكان جابر بن عبدالله رضي الله عنه معهم ثم أعطاه مرة أخرى لأخواته، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال: أهدى الأكيدر[٢] لرسول الله ﷺ جرّةً من مَنٍّ، فلما انصرف رسول الله من الصلاة مرَّ على القوم، فجعل يعطي كل رجل منهم قطعة، فأعطى جابراً قطعة، ثم إنه رجع إليه فأعطى له قطعة أخرى فقال: إنك قد أعطيتني مرّةً، قال: «**هذا لبنات عبدالله**»[٣]. وَصِلَةُ الْأُخْتِ بِالمَالِ وَالْهَدِيّةِ أَوْلَى مِنَ الْصّدَقَةِ عَلَى غَيْرِهَا، وَلَمّا اسْتَشَارَتْ مَيْمُوْنَةُ[٤] -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- رَسُوْلَ الله ﷺ فِيْ جَارِيَةٍ لها قَالَ: «**أَعْطِيهَا أُخْتَكِ وَصِلِي بِهَا رَحِمَكِ تَرْعَى عَلَيْهَا فَإِنّهُ خَيْرٌ لَكِ**» [٥].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند برقم: ١٢٠٤١، وصححه الألباني في الصحيحة(١/ ٢٩٤).

(٢) هو الأكيدر بن عبد الملك، كان نصرانياً وملكاً على دومة الجندل. انظر: فتح الباري(٥ / ٢٧٤).

(٣) رواه الإمام أحمد برقم: ١١٧٧٧، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه علي بن زيد وهو ضعيف قد وثق ومع ذلك فحديثه حسن(٥ / ٤٤)

(٤) ميمونة بنت الحارث من بني عامر بن صعصعة، الهلالية: أخت أم الفضل زوجة العباس، وخالة خالد بن الوليد، وخالة ابن عباس، تزوج بها النبي ﷺ سنة سبع.انظر: سير أعلام النبلاء(٢/ ٢٣٩).

(٥) رواه الإمام مالك مرسلاً في الموطأ برقم: ١١٢٨، كتاب الجامع، باب جامع السلام.

٣.الترحيب بزيارة الأخت وإكرامها:

فإن أُخْته الشَّيْمَاءَ بِنْت الْحَارِث[١] وَقَعَتْ فِي الْأَسْرِ مَعَ بَنِي سَعْدٍ[٢] فجاءت إليه، وقَالَتْ :«يَا رَسُوْلَ الله، إِنِّي أُخْتُكَ مِنَ الرّضَاعَة، قَالَ: وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: عَضّةٌ عَضَضْتَنِيهَا فِيْ ظَهْرِيْ وَأَنَا مُتَوَرِّكَتُكَ، فَعَرَفَ رَسُوْلُ الله الْعَلَامَةَ فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ، فَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ وَخَيّرَهَا وَقَالَ: إِنْ أَحْبَبْتِ فَعِنْدِي مُحَبّبَةٌ مُكَرّمَةٌ، وَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ أُمَتّعَكِ وَتَرْجِعِيْ إِلَى قَوْمِكِ فَعَلْتُ، فَقَالَتْ: بَلْ تُمَتِّعُنِي وَتَرُدُّنِي إِلَى قَوْمِي فَنَحَلَهَا غُلَامَاً وَجَارِيَةً وَرَدَّهَا إِلَى قَوْمِهَا»، وَفِيْ رِوَايَةٍ قَالَ لَهَا :«**سَلِي تُعْطَي وَاشْفَعِي تُشَفَّعِي**»[٣]. فهذه الشيماء أخته ﷺ من الرضاعة فيرحب بها، ويكرمها، ويعطي قومها من الهدايا والعطايا، وهذه غاية الرحمة مع غاية الإحسان.

٤. الأمر بقضاء ذمة الأخت بعد موتها:

من الرحمة والإحسان إلى الأخت بعد موتها تفقُّد ولدها وزوجها، والدعاء لها، وإبراء ذِمَّتها مما عليها من الحقوق؛ لما روى ابن عباس– رضي الله عنهما – قال: جاءتْ امرأةٌ إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أُخْتي ماتتْ وعليها صيام شهْرين متتابعين، قال: «**أرأيْتِ لو كان على أُخْتك دَينٌ أكنْتِ تقْضينه؟**»، قالتْ: بلى، قال: «**فَحَقُّ الله أَحَقُّ**»[٤].

٥. العناية بأبناء الأخوات وعدم اعتبارهم من الغرباء:

عدَّ النبي ﷺابن الأخت من القوم؛ فقد دعا الأنصار في شأنٍ خاص فقال: «**هل فيكمْ أحدٌ من غيركم؟ قالوا: لا، إلا ابن أُخْتٍ لنا، فقال: ابن أُخْتِ القوم منهم**» .[٥]

وهكذا يظهر بجلاء كيف كانت رحمته ﷺ بالنساء في عموم الأسرة، من الأمهات والزوجات والبنات والأخوات؛ لتسعد المرأة في ذلك كله بمكانتها التي أكرمها بها دين الرحمة.

---

(١) أخته ﷺ من الرضاعة، اسمها: حذافة بنت الحارث، وغلب عليها اسم الشيماء حتى صارت لا تعرف إلا به، وكانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمها. انظر: الإصابة(١/ ١٠٢).

(٢) ينسب بنو سعد إلى سعد بن بكر بن هوازن، وهم أحد بطون قبيلة هوازن ، وقد كانوا مشهورين بالفصاحة وفيهم استرضع النبي محمد ﷺ انظر: السيرة النبوية لابن هشام(١/ ١٦٧).

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة، برقم: ١٩٧٥(٣/ ٥٦) والقصة في البداية والنهاية(٤/ ٣٦٣).

(٤) رواه البخاري برقم:١٨٥٢، كتاب الصوم، باب من مات وعليه صوم.

(٥) رواه البخاري برقم: ٣٣٢٧، كتاب المناقب، باب ابن أخت القوم ومولى القوم منهم. ورواه مسلم برقم:١٧٥٤، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه.

الخاتمة

بعد كل ما سبق، يتحقق للمتأمل أن الرحمة بالمرأة كانت خلقه الأصيل ﷺ الذي لا ينفك عنه، ولا يحيد. وهو الخلق العظيم الذي يكاد يكون مفقوداً في التعامل مع المرأة في هذا الزمن الذي غلب فيه الحديث عن الحقوق المادية، وتُركت المرأة لتنتزعها انتزاعاً بقوة القانون، حتى انتهت فيه حياة كثير من النساء إلى العنف بألوانه، وعلى أحسن الأحوال إلى المشاحة والتضييق، وسط غياب تطبيق المسلمين للقيم الإسلامية، وتهميشهم لها.

وخلق الرحمة من أنبل الأخلاق وأعظمها أثراً على صاحبها وعلى الناس في الدنيا والآخرة، والرحمة هي رِقَّة في النفس، تبعث على سَوق الخير للغير، وقد تمثلت في تعامله ﷺ مع المرأة في حياته الأسرية، وفي سيرته العامة وتكاثرت أيضاً في وصاياه لأصحابه، وكانت تطبيقاتها في السنة وافرة متكاثرة.

وقد تقسمت في هذا البحث إلى قسمين: تطبيقات الرحمة في سيرته ﷺ بعموم النساء، وتطبيقاتها في محيط الأسرة، وقد أوردت من النصوص في سنته ﷺ ما يؤيد هذه التطبيقات، ويوضح جوانب الرحمة فيها.

التوصيات:

وإنني في ختام هذا العرض المختصر لهذا الجانب العظيم من سيرته ﷺ أود أن أسوق بعض التوصيات:

١. توعية النساء عموماً بما لهن في هذا الدين العظيم، وتربية الأبناء عليه.
٢. نشر هذا الخلق النبوي الكريم وهذه القيمة الإنسانية الراقية بين الناس أجمعين.
٣. استغلال وسائل الإعلام الحديثة؛ لنشر أخلاق النبوة في التعامل مع المرأة، والرد على الشبهات المثارة حول ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبي الرحمة الأمين وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الأدب المفرد للبخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية ط ٣، ١٤٠٩هـ.

٣. الأخلاق الإسلامية، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق.

٤. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف عبدالله محمد بن عبد البر، تحقيق: محمد علي البجاوي، ط ١، دار الجيل، ١٤١٢هـ.

٦. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٧. البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق ومراجعة: محمد عبد العزيز النجار، ط، مؤسسة دار العربي، ١٤٠٨هـ.

٨. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، د.ت.

٩. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ط ١، دار الكتب العلمية.

١٠. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، لشمس الدين السخاوي. تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، ط ١، دار ابن حزم، ١٤١٩هـ.

١١. حاشية الإمام السندي على صحيح البخاري، محمد بن عبد الهادي السندي، ط دار الفكر.

١٢. الخلاصة في أحكام الأسرى والسبي في الفقه الإسلامي، علي بن نايف الشحود، ط٢، ١٤٣٣هـ.

١٣. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٩هـ.

١٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي ط ٥، ١٤٠٥هـ
١٥. سنن أبي داود السجستاني، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، بيروت،دار الفكر، د.ت.
١٦. سنن الترمذي:(الجامع الصحيح) لأبي عيسى محمد بن عيسى بن(الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط ٢، دار الفكر،١٩٦٤م
١٧. سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، بيروت، دار الفكر، والقاهرة دار الحديث، ١٩٨٧م
١٨. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث، ١٣٥٩هـ، وط دار الفكر، د.ت.
١٩. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
٢٠. السيرة النبوية(سيرة ابن هشام)، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٠هـ.
٢١. السيرة النبوية(سيرة ابن إسحاق)، محمد بن إسحاق المطلبي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.
٢٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، تحقيق : محمود وشعيب الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط ١، ١٤٠٦هـ.
٢٣. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، ط ١، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ.
٢٤. صحيح الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، مكتبة الدليل، ١٤١٤هـ.
٢٥. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ.
٢٦. صحيح ابن حبان، أبو حاتم البستي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة

المنورة، ١٩٧٠م
٢٧. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، مكتبة المعارف. ١٤٢١هـ.
٢٨. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
٢٩. صحيح سنن أبي داود، ضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، مكتبة المعارف، ١٤١٩هـ.
٣٠. صحيح سنن ابن ماجة، ضعيف سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، مكتبة المعارف، ١٤١٩هـ.
٣١. الطبقات الكبير(الكبرى)، محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، ط ١، الخانجي، ١٤٢١هـ.
٣٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العينى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط المطبعة السلفية.
٣٤. فقه السيرة، محمد الغزالي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط دار الكتب الحديثة، مصر.
٣٥. لسان العرب لابن منظور، بيروت، دار صادر، ١٩٥٦م.
٣٦. محمد الطاهر ابن عاشور، حياته وآثاره د. بلقاسم الغالي، دار ابن حزم، ١٩٩٦م.
٣٧. المرأة على مرّ العصور، محمد فكري الدراوي، مكتبة الاسكندرية، ط ١.
٣٨. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
٣٩. المصباح المنير للفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
٤٠. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٤١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة.
٤٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي. القاهرة، دار السعادة، ١٤٠٢هـ.
٤٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ط ١، دار الفكر، بيروت، لبنان.
٤٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٨هـ، شرح أحمد شاكر.
٤٥. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٩م.
٤٦. الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط ١، مطابع دار الصفوة، مصر.
٤٧. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت.